

محمود شبلي

حياة

الشيخ عبد الله

دار الجليل
بيروت

حياة
أصحاب الكهف

محمود شلبي

حياة الصالحين

دار الجليل
بيروت

جميع الحقوق محفوظة
لـ (دار الجميل)

الطبعة الاولى

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ

اللهم ... منك ... وإليك

محمود شلبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له
عِوَجًا ...

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة العالمين ...

وبعد ...

هذا الكتاب عن « حياة أصحاب الكهف » ...

ولا مصدر لقصتهم إلا ما جاء عنهم في كتاب الله العزيز ...

ومن هنا كان المنهج ها هنا ... ماذا قال الله تعالى عنهم؟! ...
وما عدا ذلك نسوقه من باب الاستئناس ...
وإن أصدق التسجيل ما سجله القرآن العظيم ...
« وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا » ١٢

محمود شلبي

١٤٠٤ هـ

١٩٨٤ م

فال ..

نمائی ..؟

« أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجيبا .

« إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا : ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيبى لنا من أمرنا رشدا .

« فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا .

« ثم بعثناهم لنعلم أيّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا .

« نحن نقص عليك نبأهم بالحق أنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى .

« وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا .

« هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلها لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا .

« وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا .

« وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله

من يَهْدِ اللهُ فهوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا
مرشداً .

« وَتَحْسَبُهُمْ آيَةً ظَالِمًا وَهُمْ رُفُودٌ وَيُقَلِّبُهم ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ
الشَّامِلِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا .

« وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهم لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ
قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ
بَوْرِقَكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ
وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا .

« إِنَّهم إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعَمِّدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ
تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا .

« وَكَذَلِكَ أَعَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ
لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا
رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمُ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمُ
مَسْجِدًا .

« سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ
رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ
مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَنَفِثْ فِيهِمْ
مِنْهُمْ أَحَدًا .

« وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا .

« إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ

يَهْدِي رَبِّي لِقَرَبٍ مِّنْ هَذَا رَشْدًا .

« وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا .

« قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ
بِهِ وَاسْمِعَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ
أَحَدًا . »

[سورة الكهف]

[الآيات ٩ إلى ٢٦]

طَنُوا ...

مِی آیَاتِنَا ..

عَجِباً !..

« أم حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا
عَجَبًا .. » ١٢

« أم حَسِبْتَ » أم ظننت ...

خطاب لسيد المخاطبين ... صلى الله عليه وسلم ... والمقصود
غيره ...

« أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ » في بقاءهم على الحياة ... ونومهم مدة
طويلة من الدهر ..

والكهف : النقب المتسع في الجبل .. فان لم يكن واسعاً فهو
غار ...

« وَالرَّقِيمِ » لوح من حجارة .. كتبوا فيه قصة أصحاب الكهف
وأمرهم .. ثم وضع على باب الكهف ..

« كانوا من آياتنا » من بين دلائلنا الدالة على القدرة والألوهية ..
« عَجَبًا » أي آية ذات عجب ..

والمعنى أن قصتهم وإن كانت خارقة للعادة .. ليست بعجيبة
بالنسبة إلى سائر الآيات ..

وقال الطبري : المراد انكار ذلك الحسبان عليه .. عليه الصلاة
والسلام .. على معنى .. لا يعظم ذلك عندك بحسب ما عظمه عليك
السائلون من الكفرة .. فإن سائر آيات الله تعالى أعظم من
قصتهم ..

وقيل : المراد من الاستفهام اثبات أنهم عَجَبٌ .. كانه قيل :
اعلم انهم عَجَبٌ ..

اشعاعات

قالوا :

« عَجَبًا؟ .. اي آية يتعجب منها الناس .. ويستبعدون وقوعها .. مع أنه لا شك في وقوعها .. إذ قد بلغت من التواتر حداً لا يتوهم فيها الكذب قطعاً .. إذ أمثال هذا في جنب قدرتنا الكاملة سهل يسير .. ولو رفعت ايها المعتبر المتأمل الإلف والعادة عن البين .. وطرحت تكرر المشاهدة والموانسة عين العين .. لكان ظهور كل ذرة من ذرات العالم في التعجب والاستبعاد .. وكال الغرابة والبداعة .. مثل هذا .. بل اغرب وأعجب من هذا » !!!

قلت : هي وجوه في تفسير الآية .. وكُلّها صحيحة .. وإنما كل ينظر بمنظاره ..

فمن نظر إلى آية أهل الكهف منفردة .. كانت له عَجَبًا ..

إذ كيف ينام الفتية ثلاثمائة سنين .. بلا طعام أو شراب ..
ثم يبعثون !؟

ومن نظر إلى قصتهم ضمن آيات الله كلها .. لم تكن عجباً ..
وإنما هي إحدى عجائب القدرة .. لأن الله في كل لحظة .. آيات
يبدعها .. ولكن الناس يرون عليها .. ولا يلتفتون إليها ..
بحكم الإلف والعادة !!!

لا خلاف إذاً .. وإنما هي وجهات نظر .. وكلها
صحيحة !!

ثم أقول :

لماذا كانت خارقة اهل الكهف ؟

لماذا كانت قصة النيام السبعة ؟

الجواب :

« وكذلك بعثناهم ... ليتساءلوا بينهم ... »

والجواب :

« وكذلك أغثرنا عليهم ... ليعلموا أن وعد الله حق ... وأن
الساعة لا ريب فيها ... » !!!

هدف الخارقة ..

بعضناهم ... ليتساءلوا بينهم ..

ليفهم الناس .. ليفهم الأغبياء الذين يستبعدون البعث .. أن
هذا شيء ممكن .. بل هو هين ..

تكذبون أيها الأغبياء أن تبعثوا .. إذا أخذوا هذه التجربة ..
لعلكم تفهمون ..

فليتم هؤلاء الشبان .. ثلاثمائة سنة ..

هل تكفيكم هذه المدة كتجربة .. إن شئنا أمنناهم ثلاثمائة
مليون سنة .. فمن أنامهم ثلاثمائة .. يقدر أن يطيل مدة لبثهم إلى
ما شاء !!

ثم ماذا ؟! .. ثم

« بعضناهم » ...

لماذا ؟! ..

« ليتساءلوا بينهم » !!

أول التساؤل كان بين الذين كانوا موضع التجربة ..

« قال قائل منهم كم لبثتم ...؟ »

« قالوا لبثنا يوما !!! »

« او : بعض يوم ، !!! »

فلما استبدت بهم الحيرة ..

« قالوا : ربكم اعلم بما لبثتم ، !!! »

لا ندري .. كم لبثنا .. وكيف ندري .. وأمورنا تثير

الحيرة !!

وأسئلة الفتية هنا .. أسئلة البشرية جميعها .. على مرّ

الأجيال ..

كل الناس .. يوم البعث سيُسألون : كم لبثتم ؟! ..

وكل الناس سوف يجيبون نفس الجواب ..

« قال .. كم لبثتم في الارضِ عددَ سنين ...؟ »

« قالوا : لبثنا يوما او بعضَ يوم فسألَ العادين . »

« قال : إن لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون . ، !!! »

[المؤمنون ١١٢ - ١١٤]

ها هنا المفتاح .. الذي مَنْ به الفَتَّاح !!
ما قاله أهل الكهف لبعضهم بعضاً ..
هوَ هوَ ما سوف يُقال لجميع الناس يوم البعث ..
وما أجاب به أهل الكهف بعضهم بعضاً .. هوَ هوَ ما سوف
يجيب به كل الناس يوم البعث !
وهذا هو أحسن وجوه العَجَب في قصتهم ..
لأنهم تجربة ليفهم منها الناس .. حياة القبر .. وحياة
البعث ..
تجربة عملية .. في مجموعة من البشر .. وتحت أعين البشر
جميعاً ..
الكهف .. الذي آووا إليه .. إشارة إلى القبر ..
ومدة لبثهم في كهفهم .. إشارة إلى حياة القبر ..
وأسلوب حياتهم في كهفهم .. إشارة إلى أسلوب حياتنا في
القبور ..
ثم بعثهم .. بعد نومهم الطويل .. إشارة إلى بعثنا بعد
رقدتنا الطويلة في القبور ..

« قالوا : يا ويلنا نحن بهشنا من مرقدنا ... »
« هذا ما وعدَ الرحمنُ وصديقُ المرسلونَ » ، !!!

تأمل .. من مرقدنا ؟!

ثم تأمل .. هذا ما وعدَ الرحمنُ ؟!

هوَ هوَ نفسَ الهدفِ من قصة أصحاب الكهف « وكذلك أَعثرنا عليهم .. ليعلموا أن وعدَ الله حق » !

بل .. ما هو أعجب .. لو أنَّ لنا عقولاً تفهم !!

ما مِنَّا إلا وتجري فيه هذه التجربة كل يوم مرة أو مرتين
أو ثلاثاً ..

ما مِنَّا إلا ونام ليلاً .. أو ظهيرة .. أو متى شاء ..

ينام المرء سبع ساعات .. ثم يُبعث ..

فيحسب حين يهبّ من نومه أنه نام لحظة !

فأين ذهب إحساسه بتلك الساعات التي نامها ؟!

هل تلاشت الساعات ؟. كلا إنها حقيقة .. ولكن إحساسه بها
هو الذي تلاشى ..

وهذا ما حَدَّثَ لأهل الكهف .. ناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا
تسعا .. ثم قاموا ليقولوا قولاً يثير الضحك : لبثنا يوماً أو
بعض يوم ؟!

تماماً .. كما سوف نقول جميعاً حينُ نبعث !
إنه إسقاط الشعور بالزمن .. هو سرُّ هذا الحسبان المضحك ..
وكم للإنسان من أقوال تضحك منها المقادير !
ولقد أخبرنا .. رسول الله .. ﷺ .. بذلك الناموس الجميل
في كلمات معدودات ..

« والله ... لتموتنَّ كما تنامون ... ولتبعثنَّ كما تستيقظون »

أو كما قال :

كل آدمي .. تجري فيه تجربة أهل الكهف يوماً .. حين
ينام .. وحين يستيقظ ..

ولكن إلف العادة .. أنسانا الاحساس بمعنى التجربة ..
وما فيها من إعجاز .. لا يقل غرابة عن إعجاز أهل
الكهف ..

فلما تبلدت النفوس .. جعلَ الله للناس .. آية أهل
الكهف .. لعلمهم يتنبهون إلى عجائب قدرته في إنامة البشر ثم
بعثهم يومياً ..

وأطال مدة نومهم .. لتثير التعجب .. وتثير التساؤل . وتحدث
اضطراباً في العقول لعلها تفهم !

« وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، ... » !!

تجربة نوم الانسان كافية جداً .. لتنبه الجميع أن البعث
حق ..

لأن التجربة تجري في كل أحد منهم يومياً ..
ولكن التكرار .. أنسى الانسان قيمتها فلم تعد تثير اهتمامه ..
ولا تحرك تفكيره رغم ما فيها من إشارات خطيرة إلى نواميس
خطيرة ..

« اللَّهُ يَتَوَفَّى إِلَّا نَفْسَ حِينَ مَوْتِهَا ... »

« والتي لم تمت في منامها ... »

« فيمسكُ التي قضى عليها الموت ... »

« ويرسلُ الأخرى إلى أجل مُسمى ... »

« إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون » . . . !!

[الزُّمُرُ ٤٢]

انظر .. « لآيات » .. آيات عديدة تقع خلال هذه التجربة اليومية .. ولكن أين من يتفكر ؟ !

ينام أكثر الناس حميراً .. ويستيقظون حميراً ..

ثم يكون أوَّل ما يرفعون به أصواتهم .. أن ينهقوا بإنكار البعث .. وإنَّ أنكر الأصوات لصوت الحمير !

ولو التفتوا أدنى التفاتة .. إلى نومهم .. وقيامهم من نومهم .. لأدركوا أنهم يموتون كما ينامون .. ويعثون كما يستيقظون .. ولكن هيهات هيهات !

فكان الآية حين تقول

« أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا » ..

إنما تريد أن تنبهنا إلى شيء من هذه المعاني ..

أن يا أيها الناس .. ما وجه العجب عندكم .. ان أنماهم ثلاثمائة
سنين ثم بعثناهم ؟.

كل منكم يباشر هذه التجربة مصغرة بنفسه في نفسه ..

ما منكم من أحد إلا وينام ثم يُبعث من نومه ..

فإذا نسيتم بحكم التكرار اليومى آياتنا القائمة في نومكم وقيامكم
يومية .. فها نحن نذكركم بآية من مثلها .. أطول زمناً .. بدلاً من
ساعات جعلناها مئات من السنين ..

فان كانت لكم عجباً .. فما هي بأعجب مما نُجريه فيكم يومياً وأنتم
لا تشعرون !

في خارقة أهل الكهف .. إنهن سبعة ..

وفي حياتكم اليومية تقول للملايين ناموا فينامون !

انظر إلى مدينة من المدن الكبرى كالقاهرة فيها عشر ملايين
من الأنفس مثلاً .. في آخر الليل .. وقد نام ملايينها العشر ..
وتحولت المدينة الصاخبة إلى قبر واحد لهؤلاء ..

من أنامهم ..

ثم انظر اليهم حين يستيقظون يضجون ويعجّون مَنْ

بعشهم !؟

إن تجربتكم اليومية أعجب من تجربة أهل الكهف ..
وانما أثارت هذه عَجَبَكُمْ لأنها على غير المألوف ..
ومن أجل هذا أحدثناها آية .. لتجدد إيمانكم .. وتثير تساؤلكم ..
لعلكم تتفكرون !!

از ..

أوى ..

الفتية !

« إذ أَوَى الفَتيةُ ... إلى الكهفِ ... فقالوا ربنا آتِنَا مِنْ
لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا . »

« إذ أَوَى ، حين التجأ ..

« الفتية إلى الكهف » واتخذوه مأوى ومكاناً لهم ..

والفتية .. جمع فتى .. وهو الطري من الشبان .. ويجمع ايضاً
على فتيان ..

وإيثار الاظهار على الإضمار لتحقيق ما كانوا عليه في أنفسهم
من حال الفتوة ..

فقد روى أنهم كانوا شباناً من أبناء أشراف الروم وعظمائهم ..
مطوقين مسورين بالذهب .. ذوى ذوائب ...

« فقالوا ربنا آتنا من لدُنك » من عندك ..

« رحمة » عظيمة .. أو نوعاً من الرحمة .. فالتنوين للتعظيم
أو للنوع ..

وفسرت الرحمة بالمغفرة والرزق والأمن .. والأولى تفسيرها بما
يتضمن ذلك وغيره ..

وفي ذكر (من لدُنك) إيماء إلى أن ذلك من باب التفضل لا
الوجوب .. فكانهم قالوا ربنا تفضل علينا برحمة ..

« وهىء لنا من أمرنا » التي نحن عليه .. من مهاجرة الكفار
والمنابرة على طاعتك ..

أي : يسّر لنا أمرنا ..

« رَشَدًا » إصابة للطريق الموصل إلى المطلوب واهتداء
إليه ..

وينبغي لكل مؤمن أن يجعل دعاءه في أمر دنياه لهذه الآية
فإنها كافية ..

أو : اجعل أمرنا كله رَشَدًا ..

اشعاعات

الفتية ؟!

ما معناها .. وماذا فيها من أسرار وأنوار ؟!

معناها .. الأبطال .. بلغة عصرنا ..

ومعناها .. الشبان ..

مجموعة من الشباب .. رفضوا إجرام الامبراطور الروماني ..
تراجان ..

رفضوا إجرام الدولة العظمى .. وإجرام رئيسها تراجان ..
الذي أمر الشعب كله بالوثنية ..

ورغم أنهم كانوا من رجال القصر الامبراطوري وحاشيته ..

وأنهم كانوا في أعلى مناصب الدولة .. حيث الورد والرياحين
والنساء الجميلات .. والحفلات الراقصات ..

وأنهم كانوا في سكرة الشباب .. وقوة الشباب الجنونية ..
التي تتفجر بالشهوات ..

رغم هذا كله .. وقفوا وقفتهم الخالدة .. وقالوا للمجرم
تراجان .. لا !

لا .. ثم .. لا ..

أيها الكلب الحقير .. تراجان !

وحين يعرف الشعب من أي شعب ربّه .. فالويل ثم الويل .
للحاكم إذا حاول أن يصدّهم عن ربهم ..

إنها الثورة .. وثورة الشباب تزلزل أركان العروش .. وتدكدك
بنيان القياصرة والملوك ..

ومن هنا قال القرآن العظيم « إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ » أي
الأبطال ..

الذين هم عند الله .. أبطال ..

ومن اعتبره الله بطلاً .. فهو البطل ..

ومن لم يعتبره الله بطلاً .. فهو الصعلوك ولو كان من الملوك !
ثم ماذا ؟ !

ثم قوله تعالى « إلى الكهف » فماذا في هذا الكهف ؟ !

إلى الكهف الذي شئنا أن نقدره ونباركه .. ونجعله الموضع
الذي تحدث فيه آيتنا العجيبة ..

والأماكن تشرف بما يحدث فيها من أحداث تتصل بالله ..

ويمكنك أن تلاحظ ذلك في مناسك الحج ..

فحيث قام إبراهيم يرفع القواعد من البيت ..

شرف موضع قدمه .. وصار منسكاً

« واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى » !

وحيث هرولت أم إسماعيل بين الصفا والمروة تلتمس من

بغيتها .. صار مكان سعيها منسكاً مقدساً

« إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا

جناح عليه أن يطوف بهما ، ٠٠٠ ، !!!

وإنما شرفت هذه الأماكن .. لأنها كانت موضع حدث الله ..

وبالله ..

فاكتسبت الخلود والبقاء .. وشرفت بنسبتها إلى الله ..

فالآشبار التي وقف عليها إبراهيم تقديست لأنه قام عليها ..

الله ..

كذلك ذلك الكهف .. حيث أوى الفتية ثلاثمائة سنين وازدادوا

تسعاً .. شرف بوقوع تلك الآية العجيبة فيه ..

شرف لأن الله ذكره .. ورفع ذكره ..

وكاين من كهف في الجبال في أنحاء الأرض .. لا وزن له ..
ولكن هذا الكهف بالذات انفرد بالشرف من بينها لأن خارقة
إلهية وقعت فيه !

ثم ماذا ؟! ثم قوله « فقالوا » ..
ها هنا نلتقط الفاء .. أي فوراً قالوا .. التجأوا إلينا فوراً ..
لا إلى شيء من دوننا .. إن قلوبهم دائمة الارتباط بنا
« وربطنا على قلوبهم » !!

ماذا قالوا ؟!
« ربنا » وأنت وحدك ربنا .. لا هذا الأفك تراجان ..
« آتنا من لدنك » رأساً .. ليس عن طريق الأسباب .. وإنما
من لدنك انت ..
« رحمة » تركوا اختيار نوع الرحمة لله .. هو أعلم بما يناسبهم
من رحمة ..

إنهم لا يدركون ما هو رحمة لهم في مآزقهم :: هل يطلبون
النجاة من زبانية الامبراطور ؟
هل هناك أمل في ذلك ؟

ولو ظفروا بهم .. لقتلواهم شر قتلة ؟. فليس أمامهم إلا التفويض
إليه .. وهو أرحم بهم من انفسهم !!
« وهيبى لنا من أمرنا رَشداً » وجَّهنا إلى أحسن وجهة في
مازقنا هذا ..

ما كان يخطر على بالهم أن يحدث لهم شيء مما أحدثه الله فيهم ..
كل ما فكروا فيه أن يتولاهم برحمة من لدنه .. أما كيف ؟.
فإنهم يعجزون عن إدراك الكيفية !!

فخر بنّا ..

علی ..

اذا نسیم ؟!

« فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا . »

« فضربنا على آذانهم » أي ضربنا عليها حجاباً يمنع السماع ..
والمراد : أمنناهم إنامة ثقيلة لا تنبهم فيها الأصوات .. بات
يجعل الضرب على الآذان كناية عن الإنامة الثقيلة ..
ومن الناس من حمل الضرب على الآذان على تعطيلها .. كما في
قولهم ضرب الأمير على يد الرعية .. أي منعهم عن التصرف ..
والفاء هنا مثلها في قوله تعالى : (فاستجبنا له) ، بعد قوله
سبحانه (إذ نادى) ..

فإن الضرب المذكور وما يترتب عليه من التقلب ذات اليمين
وذاات الشمال والبعث وغير ذلك .. من آثار استجابة دعائهم
السابق ..

« في الكهف » ظرف لضرربنا ..

« سنين عدداً » ذوات عدد .. أو معدودة .. أو تعد
عدداً ..

والعدد على ما قالوا .. قد يراد به التكثير لأن القليل لا يحتاج
إلى العد غالباً .. وقد يذكر للتقليل في مقابلة ما لا يحصى كثرة كما
يقال بغير حساب ..

وهو هنا يحتمل الوجهين ..

والأول هو الأنسب باظهار كمال القدرة ..

والثاني هو الأليق بمقام إنكار كون القصة عجباً .. من بين
سائر الايات العجيبة ..

فإن مدة لبثهم وإن كثرت في نفسها فهي كبعض يوم عند الله
عز وجل ..

اشعاعات

ها هنا .. إشارات جميلات .. بارعات الحُسْن .. فاتنات ..

الاولى قالوا : ربّنا .. آتنا .. من لدُنك رُحمة !

عجّل لنا .. من لدُنك رُحمة ..

إن القوم .. من ورائنا .. أغشنا .. يامغيث ..

إن الامبراطور وزبانيته .. يفتشون عنهم في كل مكان ..
ليقبضوا عليهم ، ويقتلوهم ..

ونادى الفتية ربه .. في لهفة وخوف .. واضطرار .. وافتقار
آتنا من لدُنك رُحمة !!

جئنك حفاة .. عراة .. لا أسباب لنا ..

وسمع الله نداءهم .. وفوراً استجاب لهم .. قبل أن يتموا
دعاءهم ..

وها هنا سرّ « فَ » ضربنا ..

هذه الفاء تشير إلى الغاء الزمن .

أي فوراً .. ضربنا ..

بل أسرع من فوراً ..

والله أسرع مَنْ يُغيث .. لأن غوثه غوث من يقول كن
فيكون ..

لا تتصور شيئاً هو أسرع غوثاً لمستغيث .. من الله ..

وما حدث هنا مثال للغوث الإلهي ..

استغاثوه .. فأغاثهم بما لا يخطر على قلوبهم ، وأسرع مما يذهب
إليه خيالهم !

فضربنا على آذانهم ؟!

أسماعهم .. أجهزة سمعهم .. كما هي ..

ولكن أمرناها ألا نسمع .. فتعطلت عن السمع .. وتوقفت
فوراً ..

كيف ؟! نحن منعناها أن تسمع ..

هذه هي الخارقة العجيبة .. سمعي سليم .. ولكن لا أسمع !

ثم ماذا ؟! ثم قيل لهم ناموا .. فناموا ..

« في الكهف » حيث كانوا ..

كم سنة ؟.

« سنين عدداً » سنين طويلة عدّها الله عدّاً .. وقدّرّها تقديراً ..
لا تزيد لحظة ولا تنقص .. ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ..
ناموا ثلاثمائة سنين .. لا تسمعوا صوتاً .. مهما ارتفعت من
حولكم الأصوات !!

إن أي إنسان مهما ثقل نومه إذا سمع صوتاً فزع من نومه ..
إلا هؤلاء .. إنهم عن السمع لمعزولون !
هناك عازل .. بينهم وبين الأصوات .. فضربنا على آذانهم ..
فهم لا يسمعون !.

تم ..

بمقام ؟

« ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا... »

« ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ » أي أَيْقَظْنَاهُمْ .. وَأَثَرْنَاهُمْ مِنْ نَوْمِهِمْ ..

« لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ » أي مِنْهُمْ .. وَهُمْ الْقَاتِلُونَ : (لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ
بَعْضَ يَوْمٍ) .. وَالْقَاتِلُونَ : (رَبِّكُمْ أَعْلَمَ بِمَا لَبِثْتُمْ) ..

وقيل : أَحَدَ الْحِزْبَيْنِ الْفَتِيَّةِ الَّذِينَ ظَنُّوا قَلَّةَ زَمَانٍ لَبِثْتُمْ ..
وَالثَّانِي أَهْلَ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ بَعَثَ الْفَتِيَّةَ عَلَى عَهْدِهِمْ .. وَكَانَ عَنْدهُمْ
تَارِيخٌ غَيَّبَتْهُمْ ..

وعن ابن عباس : ان أَحَدَ الْحِزْبَيْنِ الْفَتِيَّةَ ، وَالْآخَرَ الْمُلُوكَ الَّذِينَ
تَدَاوَلُوا مَلِكَ الْمَدِينَةِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ .

وعن مجاهد : الْحِزْبَانِ قَوْمُ أَهْلِ الْكَهْفِ .. حِزْبٌ مِنْهُمْ مُؤْمِنُونَ

وحزب كافرون ..

وقيل : الحزبان كافران . والمراد بهما اليهود والنصارى ..
الذين علموا قريشاً سؤال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم عن
أهل الكهف .

وقيل : الحزبان .. الله سبحانه وتعالى .. والخلق .. كقوله تعالى :
(أنتم أعلم أم الله) ..

« أحصى » ضبط .. فهو فعل ماض ..

« لما لبثوا أمداً » أي : ليعلم أيهم أحصى مدة كائنة للبشهم ..

واختار فريق كون (أحصى) أفعل تفضيل ..

فالمعنى : بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم .. أيهم أحصى لما
لبثوا أمداً .. فيظهر لهم عجزهم .. ويفوضوا ذلك إلى العليم الخبير
ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ أبدانهم ..
فيزدادوا يقيناً بكمال قدرته تعالى وعلمه .. ويستبصروا به أمر
البعث .. ويكون ذلك لطفاً لمؤمنى زمانهم .. وآية بينة لكفارهم ..

وقرىء (ليعلم) أي : ليعلم الناس ..

اشعاعات

« ثم بعثناهم » فيها إشارة إلى أن هدف الخارقة .. اثبات البعث للناس ..

« لنعلم » لنظهر للناس ..

« أي الحزبين » أي الفريقين ..

« أحصى لما لبثوا أمدا » أضبط لمدة لبثهم في الكهف !
ماذا في هذا ؟

اضطرب أهل الكهف حينُ بُعثوا ولم يستطيعوا أن يحددوا بالضبط مدة نومهم في الكهف .. لأنهم ناموا نوماً ثقيلاً طويلاً .. وهو هو ما سوف يحدث من الناس حينُ يُبعثون يوم القيامة .. ويضطربون في تحديد مدة لبثهم في قبورهم !

• نهن

نقض عليك نبأهم ..

بالحق؟

« نحنُ نقصُ عليكُ نبأهم بالحقِّ انهم فتيةٌ آمنوا بربههم ووزعناهم
عدي .. »

نحنُ نقصُ عليكُ نبأهم ، شروع في تفصيل ما أجل فيا
سلف ..

أي : نحنُ نخبرك بتفصيل خبرهم الذي له شأن وخطر ..
« بالحقِّ » ، نقصُ قصصاً ملتبساً بالحق ..

أو : نقصه ملتبساً به ..

أو : نقص نبأهم ملتبساً به ..

أو : نبأهم الملتبس به ..

ولعل في التقييد (بالحق) إشارة إلى أن في عهده .. صلى الله

عليه وسلم .. من يقص نبأهم لكن لا بالحق ..
وقيل : لم يأت في الحديث الصحيح كيفية اجتماعهم وخروجهم ،
ولا معول إلا على ما قصَّ الله تعالى من نبأهم ..
« إنهم فتية » إنهم أبطال شبان ..
« آمنوا برَبِّهم » بسيدهم والناظر في مصالحهم ..
« وزدناهم هُدى » بالثبوت على الإيمان .. والتوفيق للعمل الصالح
والانقطاع إلى الله تعالى . والزهد في الدنيا .

اشعاعات ..

الإيمان درجات لا نهاية لها ..
وبنسبة إيمان المرء .. يكون ارتفاعه في تلك الدرجات ..
وهؤلاء الأبطال الشبان .. كانوا على إيمان عظيم ..
مَكْنَهُم من التصدي للامبراطور المجرم .. وبطشه الرهيب ..
وشتان ما بين مؤمن ضعيف مستضعف يقصي حياته في عبادات
وتراويل ثم يمضي تافهاً إلى قبره ..
وبين مؤمن قوي مجاهد .. يتصدى للباطل حيث كان .. ويدفع
حياته ثمناً لنضاله ..
فرق بعيد .. لأن المجاهد يُغَيِّرُ مسار الحياة ..
أما المؤمن الذي يقف عند العبادات فلا قيمة له في الدنيا ولا
في الآخرة ..
وهؤلاء الفتية انتزعوا البطولة واستحقوا وسامها لأنهم جاهدوا ..
لأنهم ناضلوا الامبراطورية كلها وعلى رأسها طاغيتها
فلم يرهبوا ولم يهابوا ولكن ناضلوا ..

وها هنا شرفهم .. وها هنا بطولتهم

« انهم فتية ، .. »

لأنهم أبطال .. الله يشهد لهم أنهم أبطال ..

كان يمكن أن يكتفوا بإيمانهم ولا شيء عليهم ..

ولكن شيئاً يمنعهم أن يتبدلوا إلى تلك المنزلة الدون .. وإن كانت
جائزة للضعفاء ..

شيئاً يأبى عليهم إلا أن يسجلوا أعلى مستوى من البطولة ..

هذا الشيء هو

« وزدناهم هدى ، .. »

وزدناهم نوراً .. وأيدناهم بروح منا ..

فلا شيء يثنيهم عن الحق ..

فلا الامبراطور ولا أجهزة دولة الامبراطور ..

ولا الدنيا بزینتها وبهجتها ..

لا شيء من هذا يصدهم عن إعلان الحقيقة العظمى ..

ويصفعوا بها وجه الامبراطور القبيح ..

ووجه الدنيا الفاجرة الماكرة ..

ولسان حالهم يقول : 'بولوا على الامبراطور .. وما يدعوننا إليه !

وزادهم بهجة على بهجة بطولتهم .. أنهم شباب ..

والشباب قوة وجمال ..

فاذا اندفع الشاب في قوته وجماله .. إلى الله ..

اكتملت له البطولة من أطرافها ..

ذاك أن الدنيا تفتح له ذراعيها بفتنتها .. فيعرض عنها ..

وينطلق إلى ربه !

وكما كانت الفتنة أشد .. كان الاستعلاء عليها أشق ..

ولا فتنة هي أشد من فتنة الشباب ..

فاذا استعلى عليها الشاب .. وسخر طاقاته في سبيل الله .. فهو

البطل حقاً .. عند الله !!

'إنهم فتية' ، إنهم عندي أبطال !!

و ربطنا ..

على ..

قلوبهم !.

« وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات
والارض ان ندعوك من دونه إلهنا لقد قلنا إذا شططاً . »

« وربطنا على قلوبهم » قويناها بالصبر .. فلم ترحزها عواصف
فراق الأوطان ، وترك الأهل ، والنعيم والاخوان ..

ولم يزعجها الخوف من ملكهم الجبار .. ولم يرعها كثرة
الكفار ..

وقالوا : لما كان الخوف والتعلق يزعج القلوب عن مقارها ..
ألا ترى إلى قوله تعالى : (وبلغت القلوب الحناجر) .
قيل في مقابله ربط قلبه .. إذا تمكن وثبت ..

« إذ قاموا » متعلق بربطنا ..

والمراد بقيامهم .. انبعاثهم بالعزم على التوجه إلى الله تعالى ،
ومنازمة الناس .. كما في قولهم : قام فلان إلى كذا ، إذا عزم عليه
بغاية الجد ..

وقريب منه ما قيل : المراد به انتصاهم لظاهر الدين ..
أخرج ابن المنذر .. وابن أبي حاتم .. أنهم خرجوا من
المدينة ، فاجتمعوا وراءها على غير ميعاد ..
فقال رجل منهم .. هو أشبههم .. إني لأجد في نفسي شيئاً ما
أظن أحداً يحده ..

قالوا : ما تجد ؟

قال : أجد في نفسي أن ربي رب السماوات والأرض ..
فقالوا أيضاً : نحن كذلك ..
فقاموا جميعاً ..

« فقالوا ربُّنا ربُّ السماوات والأرض » .. عن ابن عباس
القول باجتماعهم على غير ميعاد ..
إلا أنه قال : إن بعضهم أخفى حاله عن بعض حتى تعاهدوا ،
فاجتمعوا على كلمة .. فقالوا ذلك ..

وقيل : المراد به وقوفهم بين يدي الجبار .. وذلك أنهم قاموا

بين يديه حين دعاهم إلى عبادة الأوثان .. فهددهم بما هددهم .. فيينا
هم بين يديه تحركت هرة وقيل فارة .. ففزع الجبار منها ..
فنظر بعضهم إلى بعض ، فلم يتالكوا أن قالوا ذلك غير
مكثرين به .

وما أحسن ما قالوا !. فإن ربوبيته تعالى للسموات والأرض ..
تقتضي ربوبيته لما فيها ، وهم من جملته ..

وأردفوا دعواهم تلك بالبراءة من إله غيره عز وجل ..

فقالوا :

« لن ندعوَ من دونه إلهاً » وجاءوا بـلن ، لأن النفي بها ابلغ
من النفي بغيرها .. حتى قيل إنه يفيد استغراق الزمان ..

فيكون المعنى : لا نعبد أبداً من دونه إلهاً ..

أي : معبوداً آخر ، لا استقلالاً ولا اشتراكاً ..

قيل : وعدلوا عن قولهم ربا .. إلى قولهم « إلهاً » ، للتنصيص على
رد المخالفين حيث كانوا يسمون أصنامهم آلهة ..

وللاشعار بأن مدار العبادة وصف الألوهية ..

وللايذان بأن ربوبيته بطريق الألوهية ، لا بطريق المالكية

المجازية ..

وابتدأوا بما يشير إلى توحيد الربوبية لأنه أول مراتب التوحيد
والتوحيد الذي أقرت به الأرواح في عالم الذّر ، يوم قال لها
سبحانه :

« ألسن بربكم ؟ » ..

وفي ذكر ذلك أولاً .. وذكر الآخر بعده ، تدرج في المخالفة ،
فان توحيد الربوبية يشير إلى توحيد الألوهية ..

بناء على أن اختصاص الربوبية به عز وجل علة لاختصاص
الألوهية . واستحقاق العبودية به سبحانه وتعالى ..

« لقد قُلنا إذا شَطَطاً » أي قولاً ذا شطط .

أي : بعد عن الحق المفرط ..

أو : قولاً هو عين الشطط ، والبعد المفرط عن الحق ..

وفسره قتادة بالكذب .

وابن زيد بالخطأ ..

والسدى بالجور ..

والكل تفسير باللازم . وأصل معنا، من شط ، إذا أفرط في

البعد ..

وفي الكلام قسم مقدر ، أي لَر دعونا وعبدنا من دونه إلهًا ،
والله لقد قلنا الخ ..

واستلزام العبادة القول لما أنها لا تعرى عن الاعتراف بالوهمية
المعبود ، والتضرع إليه ..

وفي هذا القول دلالة على أن الفتية دُعُوا لعبادة الأصنام ..
وليموا على تركها ، وهذا أوفق بكون قيامهم بين يدي
الملك ..

اشعاعات

ها هنا مفتاح خطير جداً ، في مملكة القلوب ، أو في نواميس
القلوب ..

ومعلوم أن القلب ملك الجسد .. إذا صلحَ الجسد كله ،
وإذا فسد فسد الجسد كله ..

ومعلوم كذلك أن القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن
يقلبها كيف يشاء ، فمن شاء أزاع ومن شاء أقام ..

إذا القلب هو الملك .. وهو أساس الأحاسيس كلها ..

لماذا ؟! .. وما معنى القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن ؟!

المعنى : أن القلوب مجلى لتجليات الجمال الإلهي والجلال الإلهي ..

أي أن الأسماء الإلهية تتجلى على القلوب ..

ومعلوم أن الأسماء إما أسماء جلال ، وإما أسماء جمال « تبارك
إسمُ ربِّكَ ذي الجلال والإكرام » ..

فما الذي يحدث عند إحداث عملية

« وربطنا على قلوبهم » ..

أكبر ظني أن معناها : زدنا نسبة تجلي أسماء الجمال
عليها ..

تجلى الاسم « الرحيم » .. يزداد عن المألوف ..

تجلى الاسم « الهادي » .. يزداد عن المألوف ..

« وزدناهم هدى » ، !!

تجلى الاسم « الوَلِيّ » .. يزداد عن المألوف ، فلا يعترفون

بولاية عليهم إلا الله ، ويتجردون من الاحساس بوجود الخلق ..

« ربنا رب السماوات والارض .. لن ندعو من دونه إلهاً ..
لقد قلنا إذا شططاً . » !!

وهذا يكشف لك وُجْهاً جميلاً من وجوه الجمال في السياق ..
انظر : « وزدناهم هُدًى » .. زدنا نسبة تجلي الاسم « الهادي »
على قلوبهم ، فماذا حدث ؟

« إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والارض .. الخ ..

فلما تجلى بجماله على قلوبهم .. فلما زاد نسبة تجلي الجمال
عليهم ..

فلما كشف لهم شيئاً من جماله ، ارتبطت عيون قلوبهم ارتباطاً
لا ينفصم بجمال ربهم .. فكان نشيد قلوبهم « ربنا رب السماوات
والأرض » ..

فلما ذاقوا حلاوة النظر إلى جماله ، نفروا واشمأزوا ان
ينظروا إلى من دونه « لن ندعو من دونه إلهاً » لن نتحول عن
هذا الجمال الذي ليس كمثله جمال .. إلى ما هو أدنى .. إلى الدون من
الخلق !!

ذاقوا حلاوة النظر إلى جماله ، إلى تجليات جماله .. فارتبطوا
به أشد الارتباط . ولم يستطيعوا عنه حوالاً ..

« وربطنا على قلوبهم ، .. »

كشفنا لهم شيئاً من تجليات جمالنا

فلما ذاقوا .. ذابوا ..

فلما بهرهم جماله ، اشتد ارتباطهم بذلك الجمال .. ولذة النظر إلى جماله لا تتناهى ..

وجعلوا يزفزون : ربنا ، رب السماوات والأرض ..

فلما رأوا جمال الربوبية ، كشف لهم عن جمال الألوهية ..
فغردوا : لن ندعو من دونه إلهاً !

هنالك .. استنارت عقولهم ، بنور قلوبهم .. فهتفوا هتافهم الخالد : لقد قلنا إذا شططاً ..

أفبعد أن ذُقنا ما ذُقنا .. ودخلنا جنّة ربنا .. جنّة التجلي الجمالي ..

تتدلى إلى أسفل .. وننزل عن رفيع درجاتنا .. ونعتبر هذه الابطال ، وهذه الخرافات التي اتخذها قومنا آلهة ؟

مستحيل ان نقول بما يقولون ، إنه بُعد عن الحقيقة بعيد !

والآن .. ما معنى

« وربطنا على قلوبهم » ..

لعل سرّها ، والله أعلم بما يصنع بالقلوب ..

وزدنا تجلي أسماء جلالنا على قلوبهم ، فازدادوا هدى ..
وازدادوا علماً ..

وازدادوا ابصاراً .. وازدادوا حُبّاً لنا .. ولزادوا عشقاً
لجمالنا .. فلم يعودوا يروا إلا إيانا .. وغاب عنهم ما
سوانا !!

او لعل السر ، وهو أعلم ..

وأدرنا وجهة قلوبهم شطرنا ، فاستقبلوا وجهنا ، واستدبروا
خلفنا .. فستحيل أن يتخذوا من خلقي إلهاً ، لأن الخلق عندهم
معدومون !

او لعل السر ، وهو أعلم ..

في قول رسوله .. صلى الله عليه وسلم ، « يُقَلِّبُهَا كَيْفَ
يَشَاءُ » ..

فَقَلَّبَ قُلُوبَهُمْ إِلَى أَصْبَعِ الْجَمَالِ ، إِلَى تَجَلِّيَاتِ أَسْمَاءِ الْجَمَالِ

فطاشت قلوبهم ، وهامت في جماله ، فدندنوا .. ربنا رب السموات
والأرض !

كل ذلك جائز ، وكل ذلك محاولة فُهم ، وتقريب !

وسؤال آخر :

هل ذاق أحد غيرهم ناموس

« وربطنا على قلوبهم » ..

نعم ، نعم .. بل هو ناموس عام ، على مستوى البشر
جميعاً ..

هل هناك من دليل ؟

الدليل قوله تعالى ، في أمّ موسى

« واصبح 'فؤاد' أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به ..

« لولا ان ربّطنا على قلبها ..

« لتكون من المؤمنين . » !

لولا أن ربّطنا على قلبها ؟!

تجلينا ، زدنا نسبة تجلي أسماء جمالنا على قلبها ..

فتمدلت فوراً أحاسيسها الغريزية ، من خوف وهلع وذعر ..
إلى أحاسيس 'عليا' ، إلى الثقة بالله ، والتوكل عليه ، والتصديق
بوعده ، والتفويض إليه ، واليقين بأن موسى لن يمسسه سوء ،
وأنه سوف يعود إليها !

هذا عن أمّ موسى ..

فهل هناك من دليل ، على أنه ناموس عام ، على مستوى البشر
جميعاً ؟!

دليلنا قوله تعالى :

« اذْ يُفْشِكُمُ النَّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ » ..

« وَيُنْزَلُ عَلَيْكُمُ الْمَاءُ لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ
الشَّيْطَانِ » ..

« وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ » ..

« وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ » .. !

وليربط على قلوبكم ؟!

جميع الصحابة .. الذين شهدوا بذكرآ .. رَّبَّطَ على
قلوبهم ..

زاد نسبة تجلي أسماء الجمال على قلوبهم ..

فتبدلت أحاسيسهم فوراً إلى أعلى ..

قلوب قلوبهم إلى تجليات الجمال ..

فازدادوا حُباً له ، وازدادوا شوقاً إليه ، وازدادوا رغبة فيما

عنده .. وازدادوا رغبة عن الدنيا ، وازدادوا جراءة على عدوهم

لأنهم يرونهم كالذرّ الذي لا يُرى ..

والعكس صحيح ، فكيف كان ذلك ؟

« إذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِي مَعَكُمْ ..

« فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا ..

« سَأَلَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبُ ..

« فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَشَانٍ .. » !

الله أكبر !. إنه دليل صحة أي ناموس ، أن يستقيم عكساً

وطرداً ..

وها هو ناموس

« وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ، ..

يستقيم عكساً ..

«سألقي في قلوب الذين كفروا الرُّعبَ» ؟

لا إله إلا الله ..

إن الإدارة الإلهية تدور في القلوب ..

في المؤمنين

«وليربط على قلوبكم ، ..

وفي الذين كفروا

«سألقي في قلوب الذين كفروا الرُّعبَ» ..

فما الذي حَدَثَ ؟

قَلَّبَ قلوب أهل بدْرَ إلى أصبع الجمال ، إلى تجليات أسماء
الجمال ، فازدادوا إيماناً .. وازدادوا ثباتاً ، وازدادوا جرأة ،
وازدادوا شوقاً إليه ، لينعموا بجماله الذي ذاقوا ..

وَقَلَّبَ قلوب الذين كفروا إلى أصبع الجلال .. إلى تجليات
أسماء الجلال .. أسماء القَهَّار ، الجَبَّار ، الخ ..
فرُعبوا رُعباً ، لا يثبتون معه أبداً ..

«سألقي في قلوب الذين كفروا الرُّعبَ» ..

وانظر إلى تعبير «الرُّعبَ» ، إنه الخوف الرهيب ..

الذي يُفكّ بنيان الآدمي من داخله .. فلا يثبت بعده
أبدًا !

شيء عجيب ، هذا الكتاب ، هذا القرآن العظيم ..

لا تنفذ عجائبه !

هل قلنا شيئاً ؟

كلا .. إنها ظنون .. وإن الظن لا يُغني من الحق
شيئاً ؟ ..

قصه ..

أهل ..

الكرف ..

في كتاب ...
« أهل الكهف ... وظهور المعجزة القرآنية الكبرى » ...
لؤلفه « محمد تيسير ظبيان » ...
حقائق رائعة ... عن حقيقة قصة أهل الكهف ... واكتشاف كهف
أهل الكهف ... وعن موقعه ... وكيف تم اكتشافه ...
وما نحن نلخص شيئاً مما ورد في هذا الكتاب لتأم الفائدة :

اسباب نزول السورة

وحول نزول سورة الكهف .. فقد روى معظم المفسرين
رواية عن ابن عباس .. خلاصتها أن النضر بن الحرث بن كلفة ،
وعقبة بن أبي معيط ، أنفذهما كفار قريش إلى أحبار اليهود
بالمدينة وقالوا لهما : سلام عن محمد .. وصفنا لهم صفته ..
وخبراهم بقوله .. فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم من علم الأنبياء

ما ليس عندنا ..

فخرجوا حتى قدما المدينة ، فسالا أحبار اليهود عن النبي ..
صلى الله عليه وسلم .. وقالوا لهم ما قالت قريش ..
فقال لهما أحبار اليهود :

اسألوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل .. وإن لم
يفعل فهو رجل متقول ..

سأله عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنه قد
كان لهم حديث ؟ ..

وسأله عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما
كان نبؤه ؟ . وسأله عن الروح ما هو ؟

فانصرفوا إلى مكة فقالوا : يا معاشر قريش قد جئناكم بفصل
ما بينكم وبين محمد ..

وقصّا عليهم القصة .. وجاءوا إلى النبي .. صلى الله عليه
وسلم .. فسألوه ..

فقال :

« أخبركم بما سألتهم عنه غدا ، ... »

ولم يستثن .. فانصرفوا عنه ..

فمكث صلى الله عليه وسلم .. خمس عشرة ليلة لا يحدث الله
إليه في ذلك وحياً .. ولا بآية .. حتى أرجف أهل مكة وتكلموا
في ذلك ..

فشق على رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. ما يتكلم به
أهل مكة عليه .. ثم جاءه جبرائيل عن الله سبحانه بسورة
الكهف .. وفيها ما سألوه عن أمر الفتية .. والرجل الطواف ..
وأُنزل عليه :

« ويسألونك عن الروح ، ... »

الآية ..

قال ابن إسحاق : فذكر لي أن رسول الله .. صلى الله عليه
وسلم .. قال لجبريل حين جاءه :

« لقد احتبسست عني يا جبرائيل ، ... »

فقال له جبرائيل :

« وما نتنزل إلا بأمر ربك ، ... »

الآية ...

القصة في المصادر المسيحية

إن جميع المصادر المسيحية والإسلامية التي اطلعنا عليها تؤكد أن أولئك الفتية الذين وردت قصتهم في القرآن الكريم كانوا من أتباع الديانة النصرانية ، بقطع النظر عن الفترة التي ظهوروا فيها ...

أما المصادر المسيحية التي اعتمد عليها جمهور المفسرين والمؤرخين المسلمين ، في سرد تفاصيل قصة أصحاب الكهف ، فقد تبسطنا في إبرازها باعتبارها من أهم القصص التي تروى عن القديسين .. وإن كانت قد تضاربت روايات هذه المصادر في تحديد عدد هؤلاء الفتية ، وتاريخ ظهورهم .. والفترة التي أمضوها في الكهف ..

ولدى مراجعة المصادر المسيحية القديمة والحديثة تبين أن أول من كتب قصة أصحاب الكهف بالسريانية هو جيمس الساروغي ..

وقد نقلت القصة عنه إلى اللغة اللاتينية ، حوالي القرن

السادس الميلادي ..

وقد نقلت هذه القصة من السريانية إلى اليونانية واللاتينية
والحبشية والهندية والفارسية .. ثم إلى العربية .. وإليها استند
المفسرون والمؤرخون المسلمون في سرد تفاصيل هذه القصة ..

وجاء في دائرة المعارف للأخلاق والديانات تعقيباً على هذه
القصة :

« إن قصة النائم السبعة من أكبر القصص التي تروى عن القديسين
من حيث المتعة العقلية والذووع في الآفاق ، . . . »

القصة في المصادر الإسلامية

يمكنني أن أؤكد بأن تفاصيل قصة أصحاب الكهف والرقم
التي وردت في معظم التفاسير القرآنية والكتب التاريخية الإسلامية
مستقاة من مصدر مسيحي واحد ..

إذ لم نطلع على أي حديث نبوي ... أو أي قول من أقوال
الصحابة ... تناول هذه التفاصيل ...

فالقرآن الكريم هو المصدر الوحيد لجمل هذه القصة ... التي

وردت في سورة الكهف ...

بيد أن جمهرة المفسرين والمؤرخين المسلمين تبسطوا في هذا الموضوع ونشروا تفاصيل القصة .. وذكروا عدد أولئك الفتية وأوصافهم وأسماءهم والمكان الذي يوجد فيه الكهف والعصر الذي عاشوا فيه .. ورووا بهذه المناسبة روايات مختلفة وآراء متضاربة قد يكون أكثرها بعيداً عن الوقائع التاريخية والنظريات العلمية ..

خلاصة القصة

ويمكن تلخيص هذه القصة التي تناولها أولئك المفسرون والمؤرخون ، والتي تتفق في جملتها إلى حد بعيد مع روايات المصادر المسيحية لأنها مقتبسة منها مع بعض التحريف ..

فقد جاء في المصادر الإسلامية أن أصحاب الكهف الوارد ذكرهم في القرآن الكريم عاشوا في عهد أحد طغاة الحكام الرومان وقد عرف هذا الحاكم بجبروته وبطشه وإجباره. رعاياه على عبادة الأوثان والسجود لها ..

ولكن هؤلاء الفتية أصحاب العقيدة الراسخة والايان الصادق
رفضوا هذه العبادة الوثنية وانصرفوا إلى عبادة الواحد الأحد ..

ولما أخذ الحاكم الطاغية يستعمل وسائل العنف ويهدد بالبطش
والقتل كل من لا يرضخ لإرادته في عبادة الأوثان .. فروا من
المدينة التي كان يحكمها ، والتجأوا إلى كهف قريب من المدينة
وجعلوه مأوى لهم .. وكان يصحبهم كلبيهم الذي يتولى
حراستهم ..

وفي هذا الكهف عكفوا على العبادة والصلاة والابتهال اليه
تعالى .. بأن ينقذهم من شر ذلك الحاكم وينشر عليهم ظلال
رحمته . فاستجاب ربهم لدعائهم وشملهم بالعطف والرعاية .. وأنامهم
نوماً ثقيلاً ..

ثم مات الطاغية ، ومضت قرون بعده ، حتى تولى الملك ملك
صالح يؤمن بالله ويمقت عبادة الأوثان ..

وكان الناس في عهده يتجادلون في موضوع بعث الأرواح
والأجساد بعد الموت ..

فأراد الله أن يظهر قدرته في هذا الموضوع .. فابقظ هؤلاء
الفتية من نومهم بعد ثلاثمائة من السنين وازدادوا تسعاً ..

ولما استيقظوا يوهموا أنهم باتوا ليلة واحدة ..

وأحسوا بالجوع فبعثوا بأحدهم إلى المدينة متنكراً لياتيهم
بالطعام .. ولكن الناس في ذلك البلد اشتبهوا بأمره فوشوا به إلى
الحاكم الصالح ..

وبعد أن استمع إلى قصته ، وتأكد من صحة دعواه تذكر
الجميع حادث فرار أولئك الفتية وتواريهم عن الأنظار في عهد
الحاكم الطاغية ..

وكان يتحدث عنهم أجدادهم ..

فتوجه الملك إلى الكهف ومعه قواده وأفراد حاشيته ليروا
المعجزة الإلهية في أروع مظاهرها ..

ولما وصلوا قبض الله أرواحهم ..

فأمر الملك بأن يبنى على باب الكهف مسجد (معبد) يصلى
فيه ..

وجعل لهم عيداً عظيماً يحتفل به في كل عام ..

برزت المعلومات الصحيحة

وفي خضم هذه الأقوال المتباينة والروايات المتضاربة (من إسلامية ومسيحية) حول الزمن الذي ظهوروا فيه .. والملك الذي ظهوروا فيه .. والملك الذي فروا من بطشه .. والفترة التي رقدوا فيها ..

فقد برزت الحقائق الثابتة والمعلومات الصحيحة على أثر اكتشاف هذا الموقع في أعقاب الحفريات وأعمال التنقيب التي قامت بها دائرة الآثار الأردنية .. والدراسات التي واكبت هذه الحفريات .. وهي تضع الأمور في نصابها ، والنقط على الحروف .. وتصحح الروايات الخاطئة ..

وتؤكد بأن أولئك الفتية (أصحاب الكهف) الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم .. لم يكونوا في عصر (دوقيانوس) .. أو دوقيانوس ..

وإنما في عهد الامبراطور (تراجان) الذي حكم بين سنة ٩٨ إلى ١١٧ م ... كما تدل على ذلك البعثات الأثرية ...

فقد أشارت أسفار التاريخ الى أن هذا الطاغية كان يسجد
للذوات ...

ويقضي بالموت على كل من يرفض عبادة آلهته ...
ويقدم لها القرابين ...
واسدر مرسوماً بذلك ...

وكان المسيحيون في فترة حكمه يلاحقون ويُقتلون ...
(راجع كتاب تاريخ سورية لفيليب حتي) ..

ثم افاقوا من نومهم ... في عهد الامبراطور الصالح (ثيودوسيوس)
في الفترة الواقعة بين ٤٠٨ و ٤٥٠ .

وتضيف هذه البينات والقرائن الى ان الامبراطور الظالم
(تراجان) فتح شرق الاردن سنة ١٠٦ وبني في عمان المدرج الروماني
الذي لا يزال ماثلاً حتى الآن وهو يستوعب نحو (٦٠ الف شخص) ...
وقد عثر في هذا المدرج على الآلهة الحجرية والاصنام التي كان يعبدونها
الرومان في ذلك العهد ...

من ابرز هذه القرائن تلك النقود البيزنطية التي عثر عليها في
الكهف ... وهي من عهد (تراجان) ...

وجميع هذه القرائن والبيانات تطابق فترة نومهم كما وردت في
القرآن الكريم (أي سنة شمسية) أو ٣٠٩ قمرية (والله اعلم) !!

المشور ..

على موقع ..

الكرف !

ثم يقول الكتاب :

اين موقع الكهف الرقيم

إن السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان ويدور على الألسنة لأول وهلة :

اين يقع هذا الكهف الذي ورد ذكره في القرآن الكريم والذي اوى اليه اصحاب الكهف والرقيم ؟

وجوابنا على هذا السؤال : إن موقع الكهف المذكور قد تضاربت حوله أقوال المفسرين والمؤرخين المسلمين ، لأن الكتاب الكريم لم يحدد مكانه .. وكذلك لم يرد في الأحاديث النبوية الشريفة أية إشارة إلى موقع هذا الكهف ..

وجميع الروايات الإسلامية إستندت إلى المصادر المسيحية التي تحاول لأسباب عقائدية الزعم والتأكيد بأن موقع النيام السبعة يوجد في بلاد الروم (الأناضول في تركيا) وفي بلد تدعى (افسوس)

بالقرب من البحر الأبيض المتوسط .. دون أن يستندوا في هذا الزعم أو التأكيد إلى أية بينات أثرية أو أدلة تاريخية أو جغرافية ..

موقع الكهف في الروايات الاسلامية

وعلى الرغم مما ذهب إليه معظم المفسرين والمؤرخين المسلمين نقلاً عن المصادر المسيحية عن أن كهف (الرقيم) موجود في (إفسوس) ..

فهناك عدد لا يستهان به من الصحابة والأمراء والقواد (حتى من المفسرين والمؤرخين) يؤكدون وجود الكهف في الموقع الذي تم اكتشافه مؤخراً على مقربة من عمان كما سيأتي ..

متى بدأت الحكاية ؟

بعد العديد من محاولات التنقيب والبحث في منطقة أثرية جنوب شرق عمان بحوالي ثمانية كيلومترات في منطقة كل ما فيها

هو السماء والصحراء وطريق ممهد حديثاً يلمع بالسواد ويربط بين الأردن والسعودية ..

في هذه المنطقة الجبلية حيث تقع قرية بسيطة يسكنها عدد قليل من البدو اسمها - الرجيب - تنتشر مجموعة من الكهوف الصغيرة .. صخور قديمة تكاد تنطق بالتاريخ السحيق ..

وسط هذا تم العثور على هذا الكهف الذي تتركز عليه الآن أضواء الباحثين والعلماء ..

على يمين الكهف نجد جدراناً من الصخور القديمة ارتفاعها نحو متر .. في داخلها ترسم آثار كنيسة تحولت إلى مسجد .. وبجواره آثار شجرة زيتون تأكلت بفعل الزمن ..

وعلى يسار الكهف أعمدة ضاربة في القدم عليها زخارف منحوتة على أشكال نباتية ..

تهبط على ثلاث درجات منحوتة في الصخور لتجد ..

سبع جماجم أثرية ... وأخرى لفك حيواني ...

كما ترى فجوة في أعلى الكهف .. يدخل منها الضوء والهواء لتجعله أشبه بمكان للإعاشة .. وليس كمقبرة ..

وعلى قمة الكهف آثار كنيسة بيزنطية تحولت أيضاً إلى مسجد ..

وقد قام عدد من المسؤولين عن الآثار بالأردن .. وعلى رأسهم وزير السياحة وعدد من سفراء الدول الإسلامية بالتحقيق في مدى صحة هذا الكهف .. خاصة بعد أن عثر خبراء الآثار بداخله على هذه الجماجم السبع مع فك حيواني لكلب ..

وقد اختلفت الآراء في عدد أصحاب الكهف .. فاليونان واللاتين تقول سبعة .. والسريان ثمانية .. واليعاقبة ثلاثة ..

بينما يقول القرآن الكريم :
(قل ربي أعلم بعدتهم) ..

سبع جماجم بشرية

إن الدراسة التاريخية والأثرية التي استغرقت أكثر من عشر سنوات داخل الأردن وخارجه قد أفضت إلى الكشف عن موقع الكهف في قرية « الرقيم » على مسافة سبعة كيلومترات جنوبي عمان عاصمة الاردن - وقد أصبحت تسمى « الرجيب » بعد تحريف اسمها ..

وعاثر داخل الكهف على سبع جماجم بشرية وجمجمة كلب ...

كهف اهل الكهف

كهف أصحاب الكهف .. بجوار عمان .. وان الزائر لهذا الكهف ليرى فيه الأوصاف كلها التي نص عليها القرآن الكريم .. علاوة على الروحانية البالغة التي يجدها الزائر لآثار أولئك الفتية ..

وإن تاريخ هؤلاء الفتية يرجع إلى القرن الثالث الميلادي ، حيث ان عمان كانت إحدى عواصم البيزنطيين يحكمها ملك وثني ، وإنه أراد من الناس أن يعبدوا الاوثان ، وأن يسجدوا لها .. فكان ممن رفض ذلك هؤلاء الفتية ..

إن هذا الكهف قريب من عمان يتمكن الهارب أن ياوي إليه بأسرع وقت ، حيث أن جنود الملك كانوا يتعقبونهم .. فالمسافة بين عمان والكهف لا تزيد على ثمانية كيلومترات .. ومن آياته :

١ - إن من آيات الله تعالى أن الشمس لا تتمكن من الدخول

إلى فجوة الكهف لا صباحاً ولا مساءً حتى الآن .. بينما تراها تدخل
إلى جوانبه ولا تصل إلى الفجوة ..
وتلاحظ أن البرودة تُهيمن على الفجوة التي هي في آخر الكهف
إلى الآن ..

وقد كانت حكمة الله تعالى من عدم دخول الشمس أن تكون
الفجوة كثلاجة لحفظ أجسادهم ، بينما تتغذى أجسامهم من التفاعل
الاحشائي ، كما نرى في كثير من الحيوانات ذوات الدم البارد .. تفتر
في فصل الشتاء وتنشط في الصيف ..
وافهم قوله تعالى :

(و ترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا
غربت تعرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه) ...
وقوله تعالى :

(ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) ...

٢ - إنك ترى صورة وجه للكلب منحوتة على جانبي وصيد
الكهف الوحيدة (أي الباب) ولا شك أن هذه الصورة لم تنحت
عبثاً وإنما هي إشارة لما كان عليه الواقع الذي يصدق قول الله
تعالى :

(وقلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) ...

٣ - إنك ترى قبورهم فتحتار ، أهى ستة أم سبعة أم
ثمانية ..

وهذه الآية الإلهية وهو أنه لا يعلم عددهم إلا قليل :
(قل ربي أعلم بعدتهم) ..

٤ - ما زالت هناك قرية بجوار الكهف تسمى الرقيم (أو
الرجيب ، باللفظ الدارج عند البدو) إشارة إلى ذلك الاختلاف في
أرقام عددهم ومدة لبثهم :
« قل الله أعلم بما لبثوا » ..

٥ - إنك ترى المسجد الذي بناه الصالحون من أتباع سيدنا
عيسى بن مريم ما زالت قائمة إلى الان ..
وهناك سبعة أعمدة ما زالت قائمة إلى الان ، ولعل في ذلك
إشارة إلى عددهم :
« قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً » ..

٦ - ومن أهم الأدلة على أن ذلك الكهف هو المذكور في القرآن
الكريم احترام الخلافة الإسلامية لهم ، ولذلك فإنك ترى أن بعض
خلفاء المسلمين بنى مسجداً أمام ذلك الكهف تقديراً وتعظيماً

لذكرهم في كتاب الله ..

٧- وإن المسلمين على مر العصور على اليقين أن ذلك الكهف في ضاحية عمان هو كهف أصحاب الكهف .. كما أن كثيراً من أهل السير أشاروا إلى ذلك كالمقدسي .. وياقوت .. والهروي .. والبيروني .. والواقدي .. وغيرهم ..

ولكن عوادي الزمن سترت عنا الكهف تلك المدة من الزمان .. حتى اكرم الله تبارك وتعالى المسلمين قبل بضع عشرة سنة أن تنقب دائرة الآثار .. لابرار هذا الاثر الاسلامي .. الخ ..



واخيراً ... هذا ما اختصرناه من كتاب « أهل الكهف » ... عن اكتشاف كهف أهل الكهف ...

لنضع امام القارئ صورة واضحة للكهف الخالد ... الذي اوى اليه الفتية ...

ثم ماذا؟! ..

ثم نعود الى الآيات ..

فأُروا ..

الى ..

الكهف ؟!

- ١٥ و ١٦ -

« هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا ياتون عليهم بسلطان
بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا .

« واذا اعتزلتموم وما يعبدون الا الله فآووا الى الكهف ينشر
لكم ربكم من رحمته ويحيى لكم من امركم مرفقا .

« هؤلاء » في اسم الاشارة تحقير لهم ..

« قومنا اتخذوا من دونه » تعالى شأنه ..

« آلهة » عملوها .. ونحتوها لهم ..

فيفيد أنهم عبدوها .. والكلام أخبار فيه معنى الانكار ..

« لولا ياتون » تخفيض على وجه الانكار والتعجيز .. إذ
يستحيل أن يأتوا ..

« عليهم » أي على ألوهيتهم .. أو على صحة اتخاذهم لها

آلهة ..

« بسلطان بَيِّن » بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم .. فإن الدين لا يؤخذ إلا به .. واستدل به على أن ما لا دليل عليه من أمثال ما ذكر مردود ..

« فمن أظلم من افترى على الله كذباً » بنسبة الشريك إليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً ..

وهذه المقالة يحتمل أن يكونوا قالوها بين يدي الجبار .. تبكيتاً له وتعجيزاً . وتأكيداً للتبري من عبادة ما يدعوهم إليه بأسلوب حسن ..

ويحتمل أن يكونوا قالوها فيما بينهم .. لما عزموا .. لما عزموا عليه ..

وخبر ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - نص في أن هذه المقالة ، وما قبلها وما بعدها ، إلى (مرفقاً) مقولة فيما بينهم ..

« وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله » مقولا فيما بينهم .. خاطب به بعضهم بعضاً ..

وفي مجمع البيان عن ابن عباس أن قائله يملئها ..

والاعتزال تجنب الشيء بالبدن .. أو بالقلب .. وكلا الأمرين
محتمل هنا ..

أي .. وإذا اعتزلتموهم واعتزلتم الذين يعبدونهم إلا الله
تعالى ..

أو .. إذا اعتزلتموهم واعتزلتم عبادتهم إلا عبادة الله عز
وجل ..

« فَاوُوا » فالتجؤا ..

« إلى الكهف » وإذا اجتنبتهم عنهم وعما يعبدون .. فاخلصوا
له العبادة في موضع تتمكنون منه .. فدل الاعتراض على أنهم
كانوا صادقين .. وأنهم أقاموا بما وصى به بعضهم بعضاً ..

أو .. وإذا اعتزلتموهم اعتزالاً اعتقادياً .. فاعتزلوهم اعتزالاً
جسمانياً ..

أو .. إذا أردتم الاعتزال الجسماني .. فافعلوا ذلك ..

« يَنْشُرْ لَكُمْ » يبسط لكم .. ويوسع عليكم ..

« رَبِّكُمْ » مالك أمركم الذي هداكم للإيمان ..

« مِنْ رَحْمَتِهِ » في الدارين ..

« وَيَسِّرْ » ويسهل ..

« لكم من أمركم » الذي أنتم بصدده .. من الفرار بالدين .. والتوجه
التام إلى الله تعالى ..

« مِرْفَقاً » ما ترتفقون وتنتفعون به ..

أو .. يهيىء لكم بدلاً عن امركم الصعب مرفقاً ..

والظاهر أنهم قالوا هذا ثقة بفضل الله تعالى .. وقوة في
رجائهم .. لتوكلهم عليه سبحانه .. ونصوح يقينهم .. فقد كانوا علماء
بالله تعالى ..

فقد أخرج الطبراني .. وابن المنذر .. وجماعة عن ابن عباس ..
قال :

« ما بعث الله تعالى نبياً إلا وهو شاب ..

« ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب ..

« وقرأ : (قالوا سمعنا فتنى يذكرهم يقال له إبراهيم .. وإذا قال
موسى لفتهاه .. وإنهم فتية آمنوا بربهم) .. »

هذا واستدل بالآية على حسن الهجرة لسلامة الدين .. وقبح المقام
في دار الكفر إذا لم يمكن المقام فيها إلا إظهار كلمة الكفر ..

اشعاعات

عظماء .. هؤلاء الفتية ..

علماء .. على أعلى مستوى من العلم بالله ..

مخلصون .. على أعلى درجات الاخلاص ..

رائعون .. وروعة بطولتهم انهم اعتزلوا قومهم وعلى رأسهم
الامبراطور تراجان .. عقائدياً ..

ثم اعتزلوهم جسمانياً ..

كان يمكن أن يعتزلوهم عقائدياً .. فيثبتوا على التوحيد ..
ويكتموا عقيدتهم ، خاصة وأنهم عدد قليل .. يضاد ملايين من
البشر ..

والسباحة ضد التيار الجارف شبه مستحيلة ، وتحتاج إلى قوة
خارقة ..

وقد كانت هذه القوة الخارقة موفورة في كل واحد منهم ..
أنظر إلى قولهم » وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله ..
فاوؤا إلى الكهف » ..

لا يكفي اعتزالهم عقائدياً . بل يتحتم اعتزالهم في المكان ..

وفي المجتمع ، وفي كل الحياة ..

يتحتم نبذ هؤلاء جميعاً ، والتكهن في الكهف ..

يقولون هذا .. وهم شباب .. كل إغراءات الحياة تناديهم ..
وترقص أمام أعينهم ..

وها هنا الجمال ، وها هنا الموقف الرائع ..

إن الشيخ الفاني إذا اعتزل لمجتمع ، لا يوازي البتة الشاب إذا
اعتزل ..

لأن الشيخ فقد كل شيء .. أما الشاب فعنده كل شيء ..

وستان بين زهد مَنْ لا يملك شيئاً .. وزهد من يملك كل
شيء !!

وكم يضحكي أولئك الذين تجاوزوا الستين أو السبعين .. حين
يثرثرون بالزهد في الدنيا .. ولو رُدُّوا إلى الشباب لطرحوا ثرثرتهم
وأقبلوا على الدنيا يعبّون !!

لقد كانت روعة بطولة البطل الخرق .. عمر بن عبد العزيز ..
أنه كان شاباً .. وتحت يديه .. مقاليد الدنيا بمشارقها ومغاربها ..
فزهد في الدنيا .. وهو يملك الشباب ، ويملك السلطة العليا المطلقة
في أنحاء الأرض ..

ذلكم زاهد .. حقاً !!

وكأين من صعلوك .. يتسربل بسراويل الزهد والتقوى ..
وهو صفر اليدين من الدنيا ، فإذا امتلأت يده بالمال ، خلع
سراويل الزهد .. وانقلب فاجراً عرييداً !!

ان هؤلاء الفتية مثال رائع للزهد الصحيح ..
أوتوا الشباب ، والشباب شعلة من الجنون ..
وأوتوا الغنى والمناصب .. فقد كانوا من حاشية الملك ..
فطرحوا كل ذلك .. وضادوا الامبراطور .. وضادوا آباءهم ..
ومجتمعاتهم ..

وآووا إلى الله .. وحده ..
فتقبلهم ربهم بقبول حسن ..
وجعلهم من آياته عجباً !!

ونری ...

الشمس ..

اذا طلعت !..

« وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوَرُّ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرِّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا .

« وَتَرَى الشَّمْسَ » بيان لحالهم بعدما أواوا إلى الكهف .. ولم يصرح سبحانه به تعويلاً على ما سبق من قوله تعالى :

(إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ) ..

والخطاب لرسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

أو .. لكل أحد ممن يصلح له ..

وهو للمبالغة في الظهور .. وليس المراد الاخبار بوقوع الرؤية .. بل الأنباء بكون الكهف لو رأيته ترى الشمس ..

« إذا طلعت تزاوَرُ » تتنحى .. والمراد إذا طلعت تروغ
وتميل ..

وأصله تتزاور بتاءين فحذف أحدهما تخفيفاً ، من الزَوَر وهو
الميل ..

« عن كفهمهم » الذي آووا إليه ..

« ذاتَ اليمين » أي جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل
إلى قعره ..

أي جانبه الذي يلي المغرب ..

« وإذا غربت » أي تراها عند غروبها ..

« تَقْرُضُهم » أي تعدل عنهم ..

« ذاتَ الشمال » أي جهة ذات شمال الكهف ، أي جانبه الذي
يلي المشرق ، والمراد تتجاوزهم ..

« وهم في فجوة منه » أي في متسع من الكهف ..

وحاصل الجملتين أنهم كانوا لا تصيبهم الشمس أصلاً فتؤذيهم ،
وهم في وسط الكهف .. بحيث ينالهم روح الهواء .. ولا يؤذيهم
كرب الغار ولا حر الشمس ..

وذلك لأن باب الكهف .. كما قال عبدالله بن مسلم وابن عطية .. كان في مقابلة بنات نعش .. وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه ..

والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن .. وهو الذي يلي المغرب .. وتغرب محاذية لجانبه الأيسر .. فيقع شعاعها على جنبه .. وتحلل عفونته وتعديل هواه ولا تقع عليهم ، فتؤذي أجسادهم وتبلي ثيابهم .. ولعل ميل الباب إلى جانب المغرب كان أكثر ، ولذلك وقع التزاور على كهفهم والقرض على أنفسهم ..

وقال الزجاج :

ليس ذلك لما ذكر .. بل لمحض صرف الله تعالى الشمس بيد قدرته عن أن تصيبهم .. على منهاج خرق العادة .. كرامة لهم .. وجيء بقوله تعالى :
(وهم في فجوة منه) ..

حالاً مبينة لكون ما ذكر .. أمراً بديها .. كانه قيل : ترى الشمس تميل عنهم يميناً وشمالاً .. ولا تخوم حولهم مع كونهم في متسع من الكهف معرض لاصابتها .. اولا أن كفها عنهم كف التقدير .. واحتج عليه بقوله تعالى ..

« ذلك من آيات الله » حيث جعل (ذلك) إشارة إلى ما ذكر
من التزاور والقرض في الطلوع والغروب ميمناً وشمالاً ، ولا يظهر
كونه آية على القول السابق ، ظهوره على قوله ..

فان كونه آية دالة على كمال قدرة الله تعالى ، وحقيقة
التوحيد ، وكرامة أهله ، عنده سبحانه ..
على هذا أظهر من الشمس في رابعة النهار ..

وأكثر المفسرين على أنهم لم تصبهم الشمس أصلاً وإن اختلفوا
في منشأ ذلك ..

واختار جمع أنه لمحض حجب الله تعالى الشمس ، على خلاف
ما جرت به العادة ..

قالوا :

والإشارة تؤيد ذلك أتم تأييد ، والاستبعاد مما لا يلتفت
إليه .. لا سيما فيما نحن فيه .. فان شأن أصحاب الكهف كله على
خلاف العادة ..

وبعض من ذهب إلى أن المنشأ كون باب الكهف في مقابلة
بنات نعش .. جعل (ذلك) إشارة إلى إيوائهم إلى كهف هذا
شأنه ..

وبعض آخر جعله إشارة إلى حفظ الله تعالى إياهم في ذلك
الكهف المدة الطويلة ..

وجعله بعضهم إشارة إلى هدايتهم إلى التوحيد ، ونخالفتهم
قومهم وآباءهم .. وعدم الاكتراث بهم وملكهم مع حداثتهم ..
وإيوائهم إلى كهف شأنه ذلك .. ولا يخالو عن حسن .

« من يَهْدِ الله » من يدلّه سبحانه دلالة موصولة إلى الحق ،
ويوفقه لما يحبه ويرضاه !!

« فهو الْمُهْتَدِ » الفائز بالحظ الاوفر في الدارين ..

والمراد .. إما الثناء على أصحاب الكهف .. والشهادة لهم
بإصابة المطلوب ، والاخبار بتحقيق ما أملوه من نشر الرحمة ،
وتهيئة المرفق ..

أو .. التنبيه على أن أمثال هذه الايات كثيرة .. ولكن المنتفع
بها ، من وفقه الله تعالى للتأمل فيها والاستبصار بها ..

فالمراد بمن .. إما الفتية ، أو ما يعمهم وغيرهم ..

وفيه ثناء عليهم أيضاً ..

« وَمَنْ يُضْلِلْ » يخلق فيه الضلال لصرف اختياره إليه .

« فلن تجدَ له » أبداً ، وإن بالغت في التتبع والاستقصاء ..

« ولياً » ناصراً ..

« مرشداً » يهديه إلى الحق ، ويخلصه من الضلال ، لاستحالة

وجوده في نفسه ، لا أنك لا تجده مع وجوده أو إمكانه ..

وفيه تعريض بانهم أهل الولاية والرشاد .. لأن لهم الولي

المرشد ..

اشعاعات

ذلك من آياتِ الله !!؟

كم آية .. كم معجزة .. كم كرامة .. كم عجيبة من العجائب ،
في شأنهم هذا !!؟

عددٌ لا يُحصى ..

منها أنهم ما كان يخطر على بالهم ما حدث لهم .. فما حدث
كان مفاجأة للبشرية كلها .. ما زالت البشرية تتعجب منها !!

شرذمة من الشباب .. أووا إلى كهف .. لعل الله ينشر لهم
من رحمته ، ويهييء لهم من مآزقهم مخرجاً ..

فكانت الفجاءة .. « فضربنا على آذانهم في الكهف سنين
عدداً » !!

هل خطر على بالهم شيء من هذا ؟!

كلا .. وإنما هي المفاجأة !!

وهكذا .. آيات الله .. تبغت الناس .. لتزلزل عقولهم

ويفيقوا ..

أنظر ..

« والحق ما في يمينك قلشكف ما صنعوا .. » ١١

مفاجأة لموسى ..

ثم مفاجأة لفرعون وجميع من حضر يوم الزينة

فماذا حدث ؟!

زلزلت عقولهم ..

« فقلِّبُوا هنالك وانقلبوا صاغرين » ١٢

وزلزلت عقول ١٢٠٠٠ عالم بلغ الغاية من العلوم وعلم

السحر ..

« وألقي السحرة ساجدين » ١٣

هكذا صنع الله ..

فجأة ، تبغت ، وتبهرت ، فتضطرب العقول !!

وها هنا في أصحابنا العظماء العلماء ، أهل الكهف ..

فوجئوا بمفاجأة خلاف ما كانوا يتخيلون .

فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً ؟!!

فكانت مفاجأة لجميع عقول البشر إلى ما شاء الله : كيف
حدث هذا ؟ كيف ينام هؤلاء ثلاثمائة سنين .. ثم يوقظون ؟
كيف لا تبلى أجسادهم طيلة هذه القرون ؟ كيف يستمرون
في الحياة ٣٠٠ سنة بلا طعام وبلا شراب ؟
كيف يستمرون في الحياة بلا حركة ولو مشياً قليلاً ؟
كيف لا تخرج منهم الفضلات من عرق أو بول أو غائط ، طيلة
ثلاثمائة سنين ؟

هل كانوا أيقاظاً أم كانوا رقوداً أي نياماً ؟
وإذا كانوا أيقاظاً ، فلماذا لم يتحركوا ولو مرة واحدة خارج
كهفهم ؟
وإذا كانوا نياماً ، فلماذا لم يستيقظوا ولو مرة واحدة خلال
الثلاثمائة سنة ؟

هل يعقل أن ينام إنسان ثلاثمائة سنة ، ولا يستيقظ ولو مرة ؟
أي ناموس كان يسري فيهم .. هل هو الناموس المبتوث في
كل البشر .. أم كان لهم ناموس غير الناموس ؟
ولماذا ثلاثمائة سنين .. لماذا هذا العدد بالذات ؟

وما قصة كلهم هذا .. وإن أمره هو الآخر لعجَب !!
لماذا تبعهم .. وهل نام مثل نومهم ، أم كان يقطأ ، باسطاً

ذراعيه بالوصيد .. ليمنع الداخل إليهم ؟!

وأعجب وأعجب !!

لماذا لم يفكر أحد من الناس أن يقتحم عليهم كهفهم المفتوح
وهم في فجوة منه ظاهرة ، وينظر ما شأن هؤلاء النيام ، أو
يستخرجهم ، أو يقتلهم ، أو يفعل بهم ما يشاء ؟!

عَجَبَ !! بل-الذي حدث أنهم لبثوا الثلاثمائة سنة لا يجرؤ
أحد من البشرية أن يمسه أو يفعل بهم شيئاً !!
وهذه وحدها آية عجيبة !!

ما هي القوة الخارقة .. التي منعت البشر جميعاً .. أن
يصلوا إليهم ؟!
هناك حفظ قاهر ..

هناك قهروت وجبروت .. تمنع الجميع من مجرد التفكير في
شيء من هذا ..

تجد المفتاح إلى ذلك مكنوناً في قوله تعالى :
« وَاطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَكُنْتَ مِنْهُمْ
رُعباً ، !! »

هذا هو القهروت .. هذا هو الجبروت .. الذي يمنع الاقتراب
منهم .. وَمَنْ اقْتَرَبَ .. وَلَّى مِنْهُمْ فِرَاراً .. وَكُنْتُ مِنْهُمْ

رُعباً !!

إن الله قد تولى أمرهم ..

إن القاهر فوق عباده .. هو الذي منع عباده .. أن يصلوا إلى شيء من الفتية !!

إن هناك ألف سؤال وسؤال يمكن طرحها .. حول خارقة أهل الكهف ، ولا تجد لها جواباً .. إلا قوله تعالى :
« ذلك من آياتِ الله » ، !!

وإلا قوله تعالى :

« كانوا من آياتنا عجبا » ، !!

وتمسبهم ..

ابقاظاً ..

وهم رفوداً!.

« وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ » وَيُقْلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَسِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا .

« وَتَحْسَبُهُمْ » وتظنهم ..

أو .. لو رأيتهم تحسبهم ..

« أَيْقَاظًا » جمع يَقِظ ..

ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر .. كما قال غير واحد ..

وقيل : يحتمل ان يحسب الرأي ذلك لشدة الحفظ الذي كان عليهم .. وقلة التغير .. وذلك لأن الغالب على النيام استرخاء .. وهيات يقتضيها النوم .. فاذا لم تكن لنائم يحسبه الرأي يقظان

وإن كان مسدود العينين ..

ولو صح فتح اعينهم بسند يقطع العذر كان أبين في هذا
الحسبان ..

وقيل : مداره كثرة تقلبهم ..

« وهم رُقُود » جمع راقِد .. اي نائم ، وهم نيام ..

« وَتَقَلَّبُوهُمْ » في رقدتهم كثيراً ..

« ذاتَ اليمين » أي جهة تلي إيمانهم ..

« وذاتَ الشمال » أي جهة تلي شمائلهم .. كيلا تاكل الأرض
ما عليها من ابدانهم ، كما قيل ..

وقيل : إنه عجيب ، فان الله تعالى الذي قدر على أن يبقِيهم
احياء تلك المدة الطويلة .. هو عز وجل قادر على حفظ ابدانهم
ايضاً من غير تقلب ..

واجيب .. بانه اقتضت حكمته تعالى ان يكون حفظ ابدانهم
بما جرت به العادة ، وإن لم نعلم وجه تلك الحكمة ..

وقيل .. يمكن ان يكون تقلبهم حفظاً لما هو عادتهم في
نومهم التقلب يمينا وشمالا اعتناء بشأنهم ..

وقيل .. يحتمل ان يكون ذلك اظهاراً بعظيم قدرته تعالى في

شانهم .. حيث جمع تعالى شأنه فيهم الانامة الثقيلة المدلول عليها
بقوله تعالى :

(فضربنا على آذانهم)

والتقليب الكثير .. وما جرت به العادة أن النوم الثقيل لا
يكون فيه تقلب كثير ..
واختلف في أوقات تقلبهم ..

عن ابن عباس .. رضي الله تعالى عنهما : أنهم كانوا يقلبون
في كل ستة أشهر مرة ..

وقيل : يقلبون في كل سنة مرة ..

وقيل : بأن هذه التقديرات لا سبيل للعقل اليها .. ولفظ القرآن
لا يدل عليها ، وما جاء فيها غير صحيح ..

فظاهر الآية يدل على الكثرة ، لمكان المضارع الدال على الاستمرار
التجديدي ، مع ما فيه من التثقل ..

وقرىء .. وَتَقَلَّبُّهُمْ .. أي آية عظيمة . أو .. وَتَقَلَّبُّهُمْ .. من
آيات الله تعالى ..

وفيه إشارة إلى قوة اشتباههم بالايقاظ بحيث أنهم يحسبون
إيقاظاً .. في حال سبر أحوالهم .. وقلوبهم ذات اليمين وذات

الشمال ..

« وكلبهم » هو الحيوان المعروف ..

وقيل : هو كلب مروا به .. فتبعهم .. فطردوه .. فعاد ..
ففعّلوا ذلك مراراً ..

فقال لهم : ما تريدون مني ؟ لا تخشوا جاني ، أنا أحب أحبائه
الله تعالى ، فناموا وأنا أحرسكم ..

وروي عن ابن عباس : أنه كلب راع مروا به ، فتبع دينهم
وذهب معهم ، وتبعهم الكلب ..

وقيل : هو كلب صيد أحدهم ..

واختلف في اسمه ..

ف قيل : قطمير ..

وقيل : قطمورا .

وقيل : ريان .

وزعم بعضهم : أن المراد بالكلب هنا الأسد ..

وأخرج ابن المنذر عن ابن المنذر عن ابن جريج أنه قال :
قلت لرجل من أهل العلم ، زعموا أن كلهم كان أسداً .. فقال :

لعمر الله ما كان أسداً ، ولكنه كان كلباً أحمر ، خرجوا به من
بيوتهم ، يقال له : قطمورا ..

وجاء في شأن كلهم أنه يدخل الجنة يوم القيامة ..

وقد اشتهر القول بدخول هذا الكلب الجنة ..

وليس فيما ذكر خبر يعول عليه !!

« باسط ذراعيه » مدهما ..

والذراع من المرفق إلى رأس الاصبع الوسطى ..

« بالوَصِيد » بموضع الباب ، ومحل العبور من الكهف ..

وقيل : بالعتبة .. والمراد بها ما يحاذي ذلك من الأرض ، لا
المتعارف ..

وذكروا في حكمة كونه بالوصيد غير ناو معهم ، أن الملائكة
عليهم السلام لا تدخل بيتاً فيه كلب ..

وقد يقال : إن ذلك لكونه حارساً .. كما يشير إليه ما أخرجه
ابن المنذر عن ابن جريج قال : باسط ذراعيه بالوصيد يمسك عليهم
باب الكهف .

وكان فيما قيل : يكسر أذنه اليمنى وينام عليها إذا قلبوا ذات

اليمن .. ويكسر أذنه اليسرى وينام عليها إذا قلبوا ذات
الشمال ..

والظاهر .. أنه نام كما ناموا ..

وقيل : جعل رزقه في لحس ذراعيه ، ولم يستغرق نومه كما
استغرق نومهم !!

اشعاعات

اشتدت حيرة المفسرين والمؤولين في تفسير الآية ..

وُحَقَّ لهم أن يحاروا .. فإن الأمر خارق للعادة .. لا سبيل
للعقول إلى فهمها !!

الآية تقول : وتحسبهم أيقاظاً ..

إذاً العقل يقول : إنهم أيقاظ .. في تمام اليقظة ، كل ما فيهم
يؤكد يقظتهم ..

ولكن حقيقةهم : وهم رُقُودٌ !!

فكيف ؟! كيف يكونوا أيقاظاً .. وفي نفس الوقت « رُقُودٌ »
في تمام الرقود ؟!

ها هنا المعجزة العجيبة ..

كل ما فيهم يؤكد يقظتهم .. نظرات عيونهم المفتوحة ..
كثرة تقلبهم المستمرة ..

دائماً يتحركون ودائماً يتقلبون .. ليس تقلب النائم .. ولكن
تقلب اليقظان ، الذي يتقلب إلى الناحية التي يستريح فيها ..
مرة ذات اليمين ، ومرة ذات الشمال ..

إن حركتهم حركة الواعي لما يفعل .. لا حركة النائم
اللاشعورية !!

فأي إنسان ، أي ناظر اليهم ، يتأكد عنده أنهم أيقاظ ، وهم
في الحقيقة رُقُودٌ ..

ثم هذه الالة العجيبة الأخرى ..

هذا الكلب الجالس على مدخل الكهف .. باسط ذراعيه الأماميتين
كما هي عادة الكلاب ، في أتم مظاهر الحياة .

إذا حاول أحد أن يقتحم عليهم الكهف ، استحال عليه ذلك ،
لأن الكلب يسد باب الكهف بذراعيه ..

فالناظر في اي لحظة ، تقع عينه على سبعة من الشباب ،
يستريحون في فجوة من الكهف ، وهذا كلهم يحرسهم ، حتى
يقوموا لشأنهم .. ويغادروا الكهف .. فيتبعهم كلهم إلى حيث
يذهبون ..

إلا أن هذا المنظر العجيب ، استمر ثلاثمائة سنة وازدادوا
تسعا ..

فكيف يمكن ذلك ؟!

وما منع الناس أن يقتحموا عليهم كهفهم .. ويعلموا
أمرهم ؟!

لو اطلعت عليهم .

لو ليت منهم فرارا ..

وطلنت منهم رعباً؟

إذا قال الله تعالى :

« رُعباً ، ١٤ »

فاعلم فوراً .. أنه رُعب حقيقي .. يقذفه القويّ الجبار
القهار .. في قلب اي إنسان يحاول أن يطلع عليهم .. أو ينظر
إليهم ..

رُعباً .. يقهرك .. ويضطرك اضطراراً .. أت تُؤلّي
منهم فراراً ..
لماذا !؟

لأن الله يريد أن يحفظ هؤلاء الفتية ..

رغم أنف الناس جميعاً ..

ورغم أنف الذين اضطهدوهم .. وقهروهم .. واضطروهم إلى
مضيّق هذا الكهف ، وضيقوا عليهم الأرض بما رحبت ..

أنتم أيها الصعاليك ، فعلتم هذا بأوليائي وأحبائي ..
أنتم استضعفتموهم .. وأهنتموهم .. وأجأتموهم إلى هذا
الكهف ..

لأجعلن لهم هذا الكهف جنة عرضها عرض السماوات
والأرض ..

ولأنشرنَّ عليهم من رحمتي .
ولأجعلنهم آية للعالمين ..
هم في أعينكم محبوسون في كهف ..
وهم عندي منعمون في جنة .
لأغيرنَّ لهم النواميس ..
لأجعلنهم أيقاظاً ، وهم رُقُود !!
لأقلبهم بين ظلال تجلياتي عليهم ..
من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ..
أنا حربٌ لمن حاربهم ..

ها هم أولاء أمام أعينكم ، ظاهرين لمن ينظر إليهم .. طيلة
ثلاثمائة سنة .. فإن استطعتم أن تقرّبوهم فافعلوا .. ولن

تفعلوا ..

كيف ياوون إليّ ..

كيف يلتجئون إليّ ، ولا أحفظهم ؟!

كيف يستغيثوني ، ولا أغيثهم ؟!

كيف تكيدوهم جميعاً ، ولا أكيدهم جميعاً ؟!

لأجعلهم آية من آياتي ..

لأبقينهم ظاهرين في كهفهم ، لمن يطلع عليهم ..

ولأمنع من ينظر اليهم من مجرد التفكير في الاقتراب

منهم ..

ليس أياماً ، ولا شهوراً .. ولكن على امتداد ثلاثمائة سنة ..

فإن كان لكم كيد فكيدوهم ، وهلم إليهم فخذوهم !!

كان لسان القدرة الإلهية يقول شيئاً من هذا !!

وقد كان ، واستمر الفتية ثلاثمائة سنة ، ظاهرين للأعين ..

في فجوة من الكهف ، يتقلبون تقلب اليقظان .. وكلهم حي

قائم بباب الكهف ، باسط ذراعيه بالوصيد ..

وكان الناموس .. أو كانت المعجزة .. التي منعت أي أحد أن

يقترب منهم .. هو :

« لو اطلّعت عليهم ..
« لو كنت منهم فراراً ..
« ولّمت منهم رُعباً . ١٢

أي أحد ، ولينظر من شاء النظر إليهم ..

سوف يحدث له هذا فوراً ..

سوف يُطلق ساقيه للريح فراراً من هولٍ ما رأى ، وما
وقعت عليه عيناه ..

ولكن ماذا رأى ؟

إنه رأى مشهداً طبيعياً .. مجموعة من الشباب .. يستريحون في
كهف ..

منظر مألوف ، لا يدفع إلى فرار ولا إلى هلع ..

فلماذا يفرّ الناظر إليهم إذا ؟

هناك ناموس يعمل فوراً ..

هناك أمر إلهي .. حتمي الأثر في قلوب الناظرين .

«وَلَمَلَّتْ مِنْهُمْ رُعباً ، ..

فوراً ، يمتلئ قلب الناظر رُعباً ، عظيماً ، لا يُطاق ..
يدفع الناظر إلى الفرار ، ليتخلص من هذا الرعب الذي يعصف
بكل خلية من خلاياه .

ولكن هيات هيات .. لا خلاص .. إن الرعب يملؤه إلى
الأبد ..

وفي قراءة :

«وَلَمَلَّتْ ، ..

أي اشد الامتلاء من الرعب ..

ثم انظر إلى الاعجاز العجيب في قوله :

«وَلَمَلَّتْ مِنْهُمْ ، ..

أي جاءك الرعب منهم .. من جهتهم .. من النظر إليهم ..
لماذا ؟ .

لأن الله القى عليهم مهابة من جلاله ، تجلى عليهم بجلاله ..
فما نظر إليهم ناظر إلا امتلأ رُعباً ..

وهذا في مقابل ، ما فعل بهم الامبراطور الحقير الخسيس ،

حين أرهبهم وارعبهم بجبروته وبطشه ، فأبدلهم الله رُعباً ، القاه
عليهم .. فلو نظر اليهم تراجان .. او غيره .. امتلاً فوراً رعباً
يجعله يفرّ فراراً !

كان لسان القدرة يقول :

أرعبتموهم بجنودكم وبطشكم ، لأرعبنكم جميعاً منهم بجبروتي
وبطشي !

ولادعنهم في الكهف المفتوح أمام أعينكم ثلاثاً سنة ، تحدياً
لكم جميعاً ، ان تقتربوا منهم ، او تمسوهم بسوء ..

فهيّا فافعلوا !

ولن تفعلوا !



واخيراً ، لقد كانت هذه هي الاشعاعات .. فماذا قال
المفسرون ؟

« لو اطلّعت عليهم » لو عاينتهم وشاهدتهم ، واصل الاطلاع
الوقوف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة ..

وُقرئ : (لو اطلّعت) ، بضم الواو ..

« لو لَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا » لَأَعْرَضْتُ بِوَجْهِكَ عَنْهُمْ وَأُولِيَّتُهُمْ
كَشْحَكَ ..

« وَلَمَلَّثْتُ مِنْهُمْ رُعبًا » خَوْفًا يَمَلُّ الصَّدْرُ ..

وَسَبَبَ مَا ذَكَرَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ الْقَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْهَيْبَةِ وَالْجَلَالِ
مَا الْقَى .

وَقِيلَ سَبَبُهُ طَوْلُ شَفْوَرِهِمْ وَأَظْفَارِهِمْ وَصَفْرَةُ وَجُوهِهِمْ ..
وَتَغْيِيرُ أَظْفَارِهِمْ ..

وَقِيلَ : إِظْلَامُ الْمَكَانِ وَإِيحَاشُهُ ..

وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَعُولَ عَلَيْهِ أَنَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ .. مَا الْقَى
اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْهَيْبَةِ وَهُمْ فِي كَهْفِهِمْ .. وَأَنَّ شَعْوَرَهُمْ وَأَظْفَارَهُمْ
إِنْ كَانَتْ قَدْ طَالَتْ فَهِيَ لَمْ تَطُلْ إِلَى حَدِّ يَنْكَرِهِ مِنْ رَأَاهُ .

وَإِخْتَارَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَغْيِرْ حَالَهُمْ وَهَيْئَتَهُمْ
أَصْلًا لِيَكُونَ ذَلِكَ آيَةً بَيِّنَةً ..

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :

« غَزَوْنَا مَعَ مَعَاوِيَةَ غَزْوَةَ الْمَضِيقِ نَحْوَ الرُّومِ ..

فَمَرَرْنَا بِالْكَهْفِ الَّذِي فِيهِ أَصْحَابُ الْكَهْفِ .. الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى
فِي الْقُرْآنِ ..

فقال معاوية : لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرننا إليهم ؟
فقال له ابن عباس : ليس ذلك لك .. قد منع الله تعالى ذلك من
هو خير منك ..

فقال : (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم
رعباً) ..

فقال معاوية : لا أنتهي حتى أعلم علمهم ..
فبعث رجالاً وقال : اذهبوا فادخلوا الكهف وانظروا ..
فلما دخلوه بعث الله تعالى عليهم ريحاً فأخرجتهم ..

قيل : وكان معاوية إنما لم يجر على مقتضى كلام ابن عباس ..
رضي الله تعالى عنهما ، ظناً منه تغير حالهم عما كانوا عليه .. أو
طلباً لعلمهم منها أمكن ..

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن شهر بن حوشب ، قال :
كان لي صاحب ماض شديد النفس ، فرجى جانب الكهف ،
فقال : لا أنتهي حتى أنظر إليهم . فقليل له : لا تفعل .. أما تقرأ
(لو اطلعت عليهم) الخ ؟ .

فأبى إلا أن ينظر .. فأشرف عليهم ، فابيضت عيناه ، وتغير
شعره .. وكان يخبر الناس بأن عدتهم سبعة ..

وربما يستانس بمثل هذه الأخبار لوجودهم اليوم ، بل لبقائهم على

تلك الحالة التي لا يستطيع معها الوقوف على أحوالهم ..

والذي يميل القلب اليه عدم وجودهم اليوم .. وإن كانوا
موجودين فليسوا على تلك الحالة التي أشاء الله تعالى إليها .. وأن
الخطاب الذي في الآية لغير معين .. وأن المراد منها الاخبار عن
أنهم بتلك الحالة في ذلك الوقت !

والله أعلم

وكذلك ..

بعثناهم ؟.

« وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعدوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يُشهركم بكم أحداً .

« وكذلك بعثناهم » أي كما أنعمناهم هذه الإنامة الطويلة .. وهي المفهومة مما مرّ ..

أيقظناهم ..

فالمشبه الايقاظ .. والمشبه به الإنامة المشار اليها .. ووجه الشبه كون كل منهما آية دالة على كمال قدرته الباهرة عز وجل ..

« ليتساءلوا بينهم » أي ليسأل بعضهم بعضاً فيترتب عليه ما

فصل من الحكم البالغة .. وجعله علة للبعث المعلن بما سبق ،
فيما سبق .. قيل : من حيث أنه من أحكامه المترتبة عليه ..
والاقتصار على ذكره لاستتباعه لساثر اثاره ..

« قال » استئناف لبيان تساؤلهم ..

« قائل منهم » قيل .. هو كبيرهم مكساميننا ..

« كم لبثتم » ؟. أي .. كم يوماً أقمت نائمين ؟.

وكانه قال ذلك لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في
الجملة ..

« قالوا » أي .. قال بعضهم ..

« لبثنا يوماً أو بعض يوم » أو للشك ..

والمراد لم نتحقق مقدار لبثنا ..

أي .. لا ندري أن مدة ذلك هل هي مقدار مدة يوم .. أو
مقدار مدة بعض يوم منه ..

وقيل : أو .. للتفصيل .. على معنى

قال بعضهم : لبثنا يوماً ..

وقال اخرون : لبثنا بعض يوم ..

وقول كل مبني على غالب الظن ..
والمشهور أن نومهم كان غسودة .. وانتباههم كان آخر
النهار ..

« قالوا » أي : قال بعض آخر منهم استدلالاً أو إلهاماً ..
« ربكم أعلم بما لبستم » أي : انتم لا تعلمون مدة لبثكم ، وإنما
يعلمها الله سبحانه ..

وهذا رد منهم على الأولين على أحسن ما يكون من مراعاة حسن
الأدب ..

وبه - كما قيل - يتحقق التحزب إلى الحزبين المعهودين فيما
سبق ..

« فابعثوا أحداً منكم ..
« بورقكم » أي بدراهمكم المضروبة ..
وقيل : الورق : الفضة مضروبة أو غير مضروبة .. أي
بنقودكم الفضية ..

« هذه » يشعر بأن القائل أحضرها ليناولها بعض أصحابه ..
وفي حملهم لها دليل على أن التاهب لأسباب المعاش لمن خرج
من منزله بحمل النفقة ونحوها لا ينافي التوكل على الله تعالى ..

كما في الحديث :

« اعقلها وتوكل ، .. »

نعم قال بعض الأجلة : إن توكل الخواص ترك الأسباب بالكلية ..

ومن ذلك ما روي عن خالد بن الوليد من شرب السم ..
ومشى سعد بن أبي وقاص ، وأبي مسلم الخولاني بالجيش على متن البحر ..

وقد نص الإمام أحمد .. وإسحاق .. وغيرهما من الأئمة على جواز دخول المنافوز بغير زاد وترك التكسب والتطبيب لمن قوي يقينه وتوكله ..

وفسر الامام أحمد التوكل بقطع الاستشراف باليأس من المخلوقين ..

واستدل عليه بقول إبراهيم .. عليه السلام .. حين عرض له جبريل .. عليه السلام .. يوم القي في النار .. وقال له : ألك حاجة ؟. أما إليك فلا ..

وليس طرح الأسباب سبيل توكل الخواص عند الصوفية فقط ، بل جاء من غيرهم ايضاً ..

« إلى المدينة » المعهودة .. وهي المدينة التي خرجوا منها ..
وكان هذا القول صدر منهم إعراضاً عن التعمق في البحث ،
وإقبالاً على ما يهمهم بحسب الحال ..

« فليُنظر أيها الزكى طعاماً » أي أحلّ ..

فإن اهل المدينة كانوا في عهدهم يذبحون للطواغيت ، كما روي
عن ابن عباس ..

وفي رواية اخرى .. إنهم كانوا يذبحون الخنازير ..

وقيل : اي اطيب ..

وقيل : اي اجود ..

وحسن الظن بالفتية يقتضي انهم تحروا الحلال ..

كانه قيل .. فليُنظر اي الأطعمة او المأكّل أزكى طعاماً ..

« فليأتكم برزق منه » من ذلك الأزكى طعاماً ..

وقيل الضمير للورق .. فيكون من اللبّدل ..

وفيه دليل على جواز خلط دراهم الجماعة والشراء بها والأكل
من الطعام الذي بينهم بالشركة وإن تفاوتوا في الأكل .. نعم لا
بأس للأكل أن يزيد حصته من الدراهم ..

« وليلطف » اي وليتكلف اللطف في المعاملة. . كيلا تقع
خصومة تجر إلى معرفته ..

او .. ليتكلف اللطف في الاستخفاء دخولا وخروجاً ..

« ولا يُشعرن بكم أحداً » اي لا يفعلن ما يؤدي إلى شعور
أحد من اهل المدينة بكم ..

أو .. لا يخبرن بكم احداً ..

اشاعات

إن أشرف ، وأعلى ، وأرقى أحاسيس هي أحاسيس الذين أودوا
في سبل الله ..

فبينما تجد الناس يسترخون ويستمتعون كالبهائم .. تراهم أولئك
الفتية في خوف وقلق .. لا يأمنون على أنفسهم أن يشتروا من
المدينة شيئاً من الطعام يقتاتون به وقد أحسوا لذع الجوع يفري
أمعاءهم !

ومن هنا تتقدس وتعلو مشاعر المجاهدين فوق مشاعر
القاعدين ..

لأنهم يُطارَدون .. ويُفَزَّعون .. لا لشيء إلا أن قالوا
ربنا الله !

واعلم أن الفرق بين المجاهد والقاعد .. كالفرق بين الحي
والميت ..

المجاهد يتفجر حياة .. وتتفجر ملكاته العليا .. لأنه يقاتل
لتكون كلمة الله هي العليا ..

والقاعد ميت متعفن .. قد خملت ملكاته العليا ، واستيقظت
ملكاته السفلى .. فهو في الأسفلين ..

وهؤلاء الفتية وقفوا وقفة عليا ، حين استعلوا على الباطل كله ،
ورفضوا أن يسجدوا إلا لله ..

فطاردتهم الدولة ، فلم يلينوا ولم يهنوا ..

وأحاطهم الخوف من كل مكان .. خوف يصوره قولهم « ولا
يُشْعِرَنَّ بكم أحداً » .. إياك إياك أن يشعر أحد من اهل المدينة
بنا ، او بمخبئنا هذا ..

احذر ان تلفظ كلمة ، او تشير ولو إشارة عابرة ، يلتقطوها
ويقيضوا علينا ..

إن الملك المجرم ، أصدر اوامره لجميع اجهزة الدولة بالقبض

عليهم ..

كل الدولة ، كل الشعب . يطاردتهم ..

إنهم أبطال حقاً ..

إنهم فتيةٌ ، !!

انهم ان ..

بظروا عليكم ..

برجموكم ..

ناموس ..

لا تبديل له ولا تحويل ..

إذا افلس الباطل .. وعجز عن منع الحقّ من الانتشار ..

لجأ إلى جريمة القتل والاعتقال ، قتل الأنبياء ، او الدعاة
إلى الله !

ما من نبي إلا هددوه بالقتل ..

وما من داعٍ إلى الله ، إلا هددوه بالقتل ..

لماذا ؟.

لأن الباطل ظلام ، والحق نور ..

فإذا سطع الحق بنوره تبدد الظلام .. إنه قانون طبيعي ، إذا
أشرقت الشمس ذهب الليل ..

وها هنا عقدة المبطلين .

إنهم يشعرون ان في ظهور الحق زوال لهم ..
فهم يعملون جاهدين على إطفاء نور الله ..
فإذا لم يفلحوا ، وهم دائماً لا يُفلحون ..
إذا فليقضوا على مصدر ذلك النور ، على شخص النبي ، او
الداعية .. فليقتلوه !
وإنها لسلسلة متواصلة من القتل ، او الشروع في قتل .. كل
نبي ..
او التهديد بالقتل ..
لأن الحق والباطل عدوان ، ضدّان .. إما ان يقضي هذا على
ذاك ، او ذاك على هذا ..
فلا ليل مع النهار ..
ولا نهار مع الليل ..
اما أن يأتي هذا فيذهب ذاك ..
وإما أن يأتي ذاك فيذهب هذا ..
وهذا الناموس الرهيب ، سُنّة من سُنن الله ، لا تبديل لها
ولا تحويل ..

يفهم هذا العارفون .. وكثيراً ما يغيب عن بلداء
المؤمنين ..

وفهم هذا الفتية .. أصحاب الكهف .. لأنهم عارفون ،
علماء بالله ..

دعاة إلى الله ..

أولياء لله ..

بلغوا من معرفة الله شأواً بعيداً ..

فكان قولهم :

- ٢٠ -

« إنهم إن يظهروا عليكم يرجوكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن
تفليحوا إذا أبدا .

« إنهم » إن الكفار .

« إن يظهروا عليكم » إن يطلعوا عليكم .

ويعلموا بكانكم .

أو : إن يظفروا بكم .

« يرجوكم » يقتلوكم ، رجماً بالحجارة ..

إن لم تفعلوا ما يريدونه منكم ، وثبتم على ما أنتم عليه .

والظاهر ان المراد القتل بالحجارة ، وكان ذلك عادة فيما
سلف فيمن خالف في امر عظيم ، إذ هو أشعى للقلوب ، وللناس
فيه مشاركة ..

« أو يُعبدوكم في ملتهم » اي يصيروكم اليها .. ويدخلوكم فيها
مكرهين ..

« ولن تفلحوا إذا أبدأ » أي إن دخلتم فيها حقيقة ولو
بالكُره والالغاء لن تفوزوا بخير ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ..

ووجه الارتباط على هذا أن الاكراه على الكفر قد يكون
سبباً لاستدراج الشيطان إلى استحسانه والاستمرار عليه .

اشعاعات

قلت لكَ آنفًا .. هؤلاء الفتية ابطال ، على أعلى مستوى من البطولة ..

عارفون بالله ، على القمة من معرفة الله ..
وها هو قولهم هذا ، دليل على بطولتهم في الله ، ومعرفتهم بالله ..

والعارف بالله ، يتحقق له في لحظة ، ما لا يتحقق للعابد في ألف سنة !
لماذا ؟ .

لأن العارف في مستوى أرفع من مستوى العابد ..
في أفق أعلى .. والعابد في أفق أدنى ..
فهو يبصر في لحظة من الحقائق وهو ينظر من أفقِ الأعلى ،
ما لن يبصره العابد .. بل هو أعمى عنه ..

وهذا الناموس الذي أطلقوه ، وسجله كتاب الله .. دليل
أي دليل على معرفتهم بالله .. وعلمهم بنواميسه الكلية التي تنتظم
الجميع ..

« إنهم » إن اهل الباطل .. إن أهل الظلمة ، إن الكفار
عموماً ..

إن أعداء الله ..

إن أعداء الحق ..

« إن يظهروا عليكم » إن ينتصروا على اهل الله ، على المؤمنين ،
على أهل النور ..

أن يستمكنوا منهم .

إن يسيطروا عليهم .. إن يحكموهم وتكن الدولة بأيديهم ..

« يرموكم » يقتلوكم ، يبيدوكم ، يستأصلوكم ، ما وجدوا إلى
ذلك سبيلاً ..

إمّا القتل والإبادة .. وإمّا أن تعودوا كفاراً مثلهم ..

« أو يُعيدوكم في ملتهم » في أسلوب حياتهم .. واسلوب
عباداتهم الباطلة ..

لن يقبلوا منكم إلا إحدى السوءيين ..
وكلاهما فيه قضاء على دعوة الحق ..
لأن الحق لا يقوم إلا بأهله .. فإذا ذهب أهله بالقتل ..
انتصر الباطل ..

وإذا ارتدَّ أهله كفاراً .. فقد خسروا كل شيء ..
إنهم نطقوا بقانون كُلِّي ، لا يعلمه إلا العارفون ..
أمّا عوام المؤمنين فقلوبهم في غفلة من هذا ..
نطقوا بناموس أزلي ، من نواميس الله في خلقه ..
فدَلَّ ذلك منهم .. على أنهم عارفون .. على أعلى قمم
المعرفة ..

وأنهم أبطال خاضوا تجربة النضال في سبيل الله ، واحترقوا
بنارها ، وذاقوا لذع تجاربها وآلامها ..
نطقوا حقاً كلياً ..

هو نفس الناموس الذي انزله الله في كتابه ..

فقال :

« وقالَ الدينَ كُفِرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا ..

« أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا ..

« فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ . »

نفس الناموس .. ونفس القانون الأزلي ..

لنخرجنكم من أرضنا .. أو لتعودنَّ في ملتنا ..

يرْجُمُوكُمْ ، أو يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ..

وكذلك ...

أعثرنا ..

عليهم !!

« وكذلك أَعَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَتَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانَنَا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا .

« وكذلك أَعَثَرْنَا عَلَيْهِمْ » وكذلك أَطْلَعْنَا النَّاسَ عَلَيْهِمْ ..

أي : أَمْنَاهُمْ وَبَعَثْنَاهُمْ .. فالإشارة إلى الإمامة والبعث ..

او .. أَعَثَرْنَا أَهْلَ مَدِينَتِهِمْ عَلَيْهِمْ ..

« لِيَعْلَمُوا » أي الذين أَطْلَعْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ .. بِمَا عَايَنُوا مِنْ أَحْوَالِهِمُ الْعَجِيبَةِ ..

« أَنْ وَعَدَ اللَّهُ » أي وعده سبحانه وتعالى بالبعث ..

ويجوز أن يراد كل وعده سبحانه ، أو كل موعوده سبحانه

ويدخل في ذلك ما ذكر دخولاً اولياً ..

« حق » صادق لا خلاف فيه ..

او .. ثابت متحقق ، سيقع ولا بد ..

قيل : لأن نومهم الطويل المخالف للمعتاد وانتباههم ، كالموت والبعث ..

« وأن الساعة » اي القيامة ، التي هي في لسان الشرع عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعاً للحساب والجزاء .

« لا ريب فيها » اي ينبغي ان لا يرتاب الآن في إمكان وقوعها .. لأنه لا يبقى بيد المرتابين في ذلك بعد النظر والبحث ، سوى الاستناد إلى الاستبعاد ..

وعلمهم بوقوع ذلك الأمر الغريب والحال العجيب .

الذي لو سمعوه ولم يتحققوا وقوعه لاستبعدوه ، وارتابوا فيه ارتيابهم في ذلك يكسر شوكة ذلك الاستبعاد ويهدم ذلك الاستناد ، فينبغي حينئذ أن لا يرتابوا ..

وقيل في توجيه ترتب العلم بما ذكر على الاطلاع :

إن من شاهد أنه جل وعلا توفي نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنة وأكثر ، حافظاً أبدانها من التحلل والتفتت ، تم أرسلها اليها

لا يبغي معه شائبة شك في أن وعده تعالى حق ، وانه تعالى
يبعث من في القبور .. فيرد عليهم أرواحهم فيحاسبهم ويجازيهم
بحسب أعمالهم ..

ولعل الأظهر توجيه الترتب بما ذكر أولاً ..

وتوضيحه ..

ان حال الفتية حيث ناموا في تلك المدة المديدة ، والسنين
العديدة .. وحبست عن التصرف نفوسهم وتعطلت مشاعرهم
وحواسهم ، من غير تصاعد أبخرة شراب وطعام .

او نزول علل وأسقام ، وحفظت ابدانهم عن التحلل
والتفتت ، وابقت على ما كانت عليه من الطراوة والشباب في
سالف الأعرام .

حتى رجعت الحواس والمشاعر إلى حالها ، وأطلقت النفوس
من عقالها ، وارست إلى تدير ابدانها ، والتصرف في خدامها
واعوانها ..

فرأت الأمر كما كان .

والأعوان هم الأعوان .

ولم تنكر شيئاً عهده في مدينتها ، ولم تتذكر طول حبسها عن

التصرف في سرير سلطنتها .

وحال الذين يقومون من قبورهم بعد ما تعطلت مشاعرهم
وحبست نفوسهم .

ثم لما اطلقت وجدت ربوعاً عامرة ومنازل كأنها لم تكن
دائرة ، قائلين قبل ان يكشر عن انيابه العنا :

من بعثنا من مرقدنا ؟

في الغرابة من صقع واحد ، ولا ينكر ذلك إلا جاهل أو
معاند .

ووقوع الأول يزيل الارتباب في إمكان وقوع الثاني ، حيث
كان مستنداً إلى الاستبعاد في الحقيقة كما سمعت فيما قبل لبطلان
أدلة النافين للحشر الجسماني ..

« إذ يتنازعون » حين يتنازعون ، إذ يتخاصمون .

« بينهم امرهم » ويتخاصمون فيه ، ليرتفع الخلاف ويتبين
الحق .

والمراد بالأمر البعث ، ومعنى إضافته اليهم اهتمامهم بشأنه
والوقوف على حقيقة حاله .

اي : إذ يتنازعون بينهم امر البعث .

وقد اختلفوا فيه ، فمن مقرّ به ، وجاحد ، وقائل
يقول :

تبعث الأرواح دون الأجساد ، وآخر يقول ببعثها معاً ، كما
هو المذهب الحق عند المسلمين ..

رُوي أنه بعد أن ضرب الله تعالى على آذان الفتية .. ومضى
دهر طويل ..

لم يبق أحد من أمتهم الذين اعتزلوهم ، وجاء غيرهم ..
وكان ملكهم مسلماً .. فاختلف أهل مملكته في أمر البعث
حسبما فصل ..

فشق ذلك على الملك ..

فانطلق فلبس المسوح ، وجلس على الرماد ..

ثم دعا الله عز وجل فقال :

أي رب .. قد ترى اختلاف هؤلاء .. فابعث لهم آية
تبين لهم ..

فقيض الله تعالى راعي غنم أدركه المطر ، فلم يزل يعالج باب
الكهف حتى فتحه وأدخل غنمه ..

فلما كان الغدُ بُعثوا من نومهم ..

فبعثوا أحدهم ليشتري لهم طعاماً .. فدخل السوق ، فجعل
ينكر الوجوه ، ويعرف الطرق ..

ورأى الايمان ظاهراً بالمدينة ..

فاطلق وهو مستخف حتى أتى رجلاً يشتري منه طعاماً ..
فلما نظر النقود الفضية أنكرها حيث كانت من ضرب
تراجان ..

فاتهمه بكنز .

وقال : لتدلي عليهِ أو لأرفعنكَ إلى الملك ..

فقال : هي من ضرب الملك ، أليس ملككم فلاناً ؟

فقال الرجل : لا .. بل ملكنا فلان ..

وكان اسمه ..

ثيودسيوس ..

فاجتمع الناس ، وذهبوا به إلى الملك ، وهو خائف ..

فسأله عن شأنه ..

فقصَّ عليه القصة .

وكان قد سمع أن فتية خرجوا على عهد تراجان ..
فدعا مشيخة أهل مدينته ، وكان رجل منهم عنده أسماؤهم
وأنسابهم ..

فسأله ، فأخبره بذلك ..

وسأل الفتى ..

فقال : صدق ..

ثم قال الملك : أيها الناس .. هذه آية بعثها الله تعالى لكم ..

ثم خرج هو وأهل المدينة .. ومعهم الفتى ..

فلما رأى الملك الفتية .. اعتنقهم .. وفرح بهم ..

ورآهم جلوساً .. مشرقة وجوههم ..

لم تبل ثيابهم ..

فتكلموا معه .. وأخبروه بما لقوا من تراجان ..

فبينما هم بين يديه ..

قالوا له : نستودعك الله تعالى .. والسلام عليك ورحمة الله

تعالى .. حفظك الله تعالى .. وحفظ ملكك .. ونعيمك بالله تعالى

من شر الانس والجن ..

ثم رجعوا إلى مضاجعهم ..

فتوفاهم الله تعالى .
فقام الملك اليهم ..
وجعل ثيابه عليهم ..
وأمر أن يجعل كل منهم في تابوت من ذهب ..
فلما كان الليل ونام .. أتوه في المنام .. فقالوا : أردت أن
تجعل كلّا منّا في تابوت من ذهب .. فلا تفعل .. ودعنا في كهفنا ..
فمن القرب خلقنا وإليه نعود ..
فجعلهم في توابيت من ساج ..
وبنى على باب الكهف مسجداً ..

ويُروى أن الفتى لما أتى به إلى الملك قال : من أنت ؟
قال : أنا رجل من أهل هذه المدينة ..
وذكر أنه خرج أمس ، او منذ أيام ؟
وذكر منزله وأقواماً لم يعرفهم أحد ..
وكان الملك قد سمع أن فتية قد فقدوا في الزمان الأول .
وان اسماءهم مكتوبة على لوح في الخزانة .
فدعا باللوح ، ونظر في أسمائهم .. فاذا هو من أولئك
القوم ..

فقال الفتى : وهؤلاء أصحابي .

فركب القوم ومن معه ..

فلما أتوا باب الكهف ، قال الفتى :

دعوني حتى أدخل على اصحابي فأبشرهم ، فإنهم إذا رأوكم معي
رُعبوا ..

فدخل ، فبشرهم .. الخ .

وقيل : ضمير (أمرهم) للفتية .

والمراد بالأمر الشأن والحال الذي كان قبل الاعثار .

اي : وكذلك أعرنا الناس على اصحاب الكهف ، حين تذاكرهم
بينهم امرهم ، وما جرى لهم في عهد الملك الجبار من الأحوال
والأهوال .

ولعلمهم قد تلقوا ذلك من الأساطير وافواه الرجال ، لكنهم لم
يعرفوا : هل بقوا أحياء ، أم حل بهم الفناء ؟

اشعاعات

ذهب الامبراطور المجنون تراجان إلى الجحيم .
ومضت السنون ، وجاء ملك مؤمن بالله واليوم الآخر
إسمه ..
نيودوسيوس ..

وتغلغلت اخلاقيات الايمان الرفيعة في معاملات الناس .
وكان طابع الدولة الرسمي تعظيم الله وتوحيده ، وتعظيم اهل
الله وأوليائه ..

ولا عجب فالثلاثمائة سنة كافية لاحداث هذا التحول في المجتمع
من الوثنية إلى الربانية .

وكما هو شأن الجماهير دائماً ، يكثر الجدل حول القضايا الكبرى
من معتقداتها ، وخاصة قضية البعث .

فهناك فريق المتفلسفة الذين يذهبون إلى إنكار البعث ، وانه
خرافة لا ضرورة لحدوثها .. وان الانسان يلقي جزاء أعماله في

دنياه إن شراً فشر ، وإن خيراً فخير !

وهناك فريق من المؤمنين يؤمن بالبعث .. إلا أنه يرى أن
البعث يكون بالأرواح بلا أجساد ..

إذ ما معنى أن يحمل الإنسان جثته مرة أخرى في الآخرة ..
وما هي إلا كومة من عفونات إن كان لها ضرورة في الحياة الدنيا
فما ضرورتها في الحياة الآخرة !؟

وهناك فريق من المؤمنين الراسخين يؤمنون بالبعث .. بالروح
والجسد .. وإن الله قادر على أن يفعل ما شاء ..

ويبدو أن الملك المؤمن الصالح كان من هؤلاء ..

إلا أن القضية كانت تموج في شعبه ..

ولكل رأي انصاره ..

والدولة مهما أوتيت لا تستطيع أن تسيطر على افكار
الناس ..

فالتجأ الملك المؤمن إلى ربه .. واستغاثه أن يبعث إلى الناس
آية تصحح لهم عقائدهم .

وكان هذا التنازع الذي كان يدور في المجتمع .. كان تمهيداً

جيلاً من المقادير .. لاطهار أشخاص أهل الكهف إلى الجميع ..
واطلاعهم عليهم أحياء ..

فيكون بعثهم آية لأشخاص أهل الكهف ، وآية للناس جميعاً ..
تصحح لهم ما فيه يتنازعون !!

آية لأشخاص أهل الكهف .. أنهم يرون بأعينهم بعثهم مرة
أخرى بعد ثلاثمائة سنة ..

ويرون انتصار الحق .. وظهور عقيدتهم ..

وها هي الدولة كلها وعلى رأسها ملكها ..

وها هو الشعب كله يؤمنون بما آمنوا به منذ ثلاثمائة
عام ..

« إذ قاموا فقالوا ربُّنا ربُّ السماوات والأرض ان ندعوكِ مِنْ
دونِهِ اليها .. ، .. »

ها هو الشعب كله يقول ما كانوا يقولون .. وعلى رأسه الملك
الصالح المؤمن !

فيعلموا شهوداً كما آمنوا به غيباً .. ويروا بأعينهم أن وعد
الله حق .. حين وعد أوليائه بالنصر .. وها هو الحق ينتصر

وينتشر .. رسمياً وشعبياً ..

ويروا أن البعث حق ، وها هم أولاء يُبعثون ..

ويروا أن الساعة آتية لا ريب فيها ..

فقد ناموا وبعثوا ..

كذلك الخلق يُبعثون من قبورهم .. كما بُعثوا هم من كهفهم ..

هذا من جهة أشخاص اهل الكهف ..

أما من جهة المتنازعين في أمر البعث هل هو بالروح وحدها ، أم بالروح والجسد ..

فان بعث اهل الكهف .. واعثار اهل المدينة عليهم ..

دليل عملي .. اقوى دليل ..

على ان البعث بالروح والجسد معاً ..

ها هم أولاء السبعة النيام ، منذ ثلاثمائة عام .. يُبعثون بأرواحهم واجسادهم ، امام أعين الجميع ..

وها هي المدينة بأكملها تسير كلها رجالاً ونساء وعلى رأسها الملك وحاشيته .. إلى كهفهم .. ويروا بأعينهم .. رجالا يوقنون

أنهم ناموا منذ ثلاثمائة عام .. يُبعثون امام أعينهم بروحهم
وجسدهم ..

فلا سبيل لأحد أن ينكر بعث الناس يوم القيامة بأرواحهم
واجسامهم من قبورهم .. وقد شاهد الجميع التجربة في اهل
الكهف !!

وليس بعث اهل الكهف آية لأهل مدينتهم وحدهم ..
بل ليبقى آية من بعدهم .. ودليلاً للناس جميعاً .. جيلاً
بعد جيل ..
يؤكد لهم أن وعد الله حق .. وان الساعة لا ريب
فيها ..

« وكذلك أعثرنا عليهم ..

» ليعلموا ..

« أن وعدَ الله حقٌّ ..

« وأن الساعةَ لا ريبَ فيها .. » !!

ليعلموا .. كي يعلم اهل الكهف ..

كي يعلم اهل المدينة ..

كي يعلم الناس جميعاً .. جيلاً بعد جيل .. إلى يوم

القيامة ..

أن وعد الله واقع حتماً ..

وان الساعة .. وبعث من في القبور .. لا سبيل إلى
الشك فيها ..

وَمَنْ شَكَّ ..

فليُنظر إلى ما حدث للفتية .. حين بعثناهم من كهفهم !!

لنتفزن ..

علیہم ..

مسجداً !.

نواصل تفسير الآية ..

« فقالوا ابنوا » كأنه قيل : وكذلك اعثرنا الناس على أصحاب الكهف حين تنازعهم في امر البعث . فتحققوا ذلك ، وعلموا ان هؤلاء آية من آياتنا ..

فتوفاهم الله تعالى ، بعد ان حصل الغرض من الاثمار ، فقالوا (ابنوا) ، إلى آخره ..

او .. وكذلك اعثرنا الناس على اصحاب الكهف حين تذاكرهم امرهم وما جرى لهم في عهد الملك الجبار ، ولم يكونوا عارفين بما هم عليه .. فوقفوا من احوالهم على ما وقفوا ، واتضح لهم ما كانوا قد جهلوا ، فتوفاهم الله تعالى بعد ان حصل الغرض من الاثمار ..

فقالوا (ابنوا) .. إلى آخره ..

اي قال بعضهم : ابنوا ..

« عليهم » على باب كهفهم .

« بنياناً » اعتناء بالفتية ، وذلك انهم ضنوا بتربتهم ، فطلبوا البناء على باب كهفهم ، لئلا يتطرق الناس اليهم .

« ربهم اعلم بهم » كأنهم تذكروا امرهم ، وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم ، فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك ، فوضوا العلم إلى الله تعالى علام الغيوب .

أو ، ان يكون من كلامه سبحانه ، رداً للخائضين في امرهم ، إما من المعثرين ، او ممن كان في عهده ، صلى الله عليه وسلم ، من اهل الكتاب .

او .. إذ يتنازعون بينهم تدبير امرهم وحالهم حين توفوا ، كيف يفعلون بهم ؟ وبماذا يحلون قدرهم ..

او .. إنهم يتنازعون بينهم امرهم من الموت والحياة ، حيث خفي عليهم ذلك بعد الاعشار ، فلم يدروا هل ماتوا او ناموا ؟ كما في اول مرة .

« قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجداً » كانه قيل : اذكر حين يتنازعون في انهم ماتوا او ناموا ؟ ثم فرغوا من التنازع في ذلك ، واهتموا باجلال قدرهم وتشهير امرهم ، فقالوا : (ابنوا) إلى اخره .

أو .. إذ يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون
في قصتهم ، وما اظهر الله تعالى من الآية فيهم ..

أو .. إذ يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفوا ، كيف
يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم ؟

أو .. لما تذاكروا قصتهم وحالهم .. وما أظهر الله تعالى من
الآية فيهم ..

قالوا : دعوا ذلك ، وابنوا عليهم بنيانا ..

اي : خذوا فيما هو أهم ..

والذي يقتضيه كلام كثير من المفسرين أن غرض الطائفتين
القائلين (ابنوا) إلى آخره ..

والقائلين : (لنتخذن) إلى آخره ، تعظيمهم وإجلالهم ..

والمراد من الذين غلبوا على أمرهم الولاة .. ويلائمه ..
(لنتخذن) دون اتخذوا ، فان مثل هذا الفعل تنسبه الولاة إلى
أنفسها ..

ومعنى غلبتهم على أمرهم أنهم إذا أرادوا أمراً لم يتعسر
عليهم .. ولم يحل بينه وبينهم أحد ، كما قيل في قوله تعالى (والله
غالب على أمره) ..

والمذكور في القصة أن الملك جعل على باب الكهف مسجداً ،
وجعل له في كل سنة عيداً عظيماً ..

والمراد بالمسجد هنا ، معبد المؤمنين من تلك الأمة .

وظاهر ما تقدم أن المسجد اتخذ لأن يعبد الله تعالى فيه من
شاء ..

أي : لتتخذن عليهم معبداً ..

وقيل أن الملك قال :

لاتخذن عند هؤلاء القوم الصالحين مسجداً ، فلاعبدن الله تعالى
فيه حتى أموت ..

وقيل : أنه اتخذ ليصلي فيه أصحاب الكهف إذا استيقظوا ،
وهذا مبني على أنهم لم يموتوا بل ناموا كما ناموا أولاً .. وإليه ذهب
بعضهم ..

والآية ليس فيها أكثر من حكاية قول طائفة من الناس وعزمهم
على فعل ذلك ، وليست خارجة مخرج المسدح لهم ، والحض على
التأسي بهم ..

وقيل : إن الطائفة الأولى كانوا مؤمنين عالمين بعدم مشروعية
اتخاذ المساجد على القبور ، فأشاروا بالبناء على باب الكهف وسده
وكف كف التعرض عن أصحابه ..

فلم يقبل الأمراء منهم ، وغازتهم ذلك ، حتى اقساموا على
اتخاذ المسجد ..

وفي خبر مجاهد .. أن الملك تركهم في كهفهم .. وبني على
كهفهم مسجداً ..

وقيل .. ولقد رأيت من يبيع ما يفعله الجهلة في قبور الصالحين
من أشرافها وبنائها بالجلس والآجر ، وتعليق القناديل عليها ،
والصلاة اليها ، والطواف بها ، واستلامها ، والاجتماع عندها في
أوقات مخصوصة ، إلى غير ذلك ..

محتجاً بهذه الآية الكريمة ، وبما جاء في بعض الروايات من جعل
الملك لهم في كل سنة عيداً .. وجعله إياهم في توايت من ساج ،
ومقيساً البعض على البعض ..

وكل ذلك محادة لله تعالى ورسوله .. صلى الله عليه وسلم ،
وابداع دين لم يأذن به الله عز وجل ..

ويكفيك في معرفة الحق تتبع ما صنع اصحاب رسول الله ..
صلى الله عليه وسلم .. في قبره .. عليه الصلاة والسلام ، وهو افضل
قبر على وجه الأرض ، والوقوف على أفعالهم في زيارتهم له ، والسلام
عليه .. عليه الصلاة والسلام .

هذا واستدل البعض بالآية على جواز البناء على قبور الصالحاء ،

واتخاذ مسجد عليها ، وجواز الصلاة في ذلك ..

وهو قول باطل ، عاطل ، فاسد ، كاسد ..

فقد روى احمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن
ماجة ..

عن ابن عباس قال :

قال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم :

« لعن الله تعالى زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد
والسرج » ..

ومسلم :

« ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد
فاني أنهاكم عن ذلك » ..

وأحمد ، والشيخان ، والنسائي :

« إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات ، بنوا على
قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق يوم
القيامة » ..

إلى غير ذلك من الأخبار الصحيحة والآثار الصريحة ..

وذكر ابن حجر ، في الزواجر :

أنه وقع في كلام بعض الشافعية ، عند اتخاذ القبور مساجد ،
والصلاة اليها ، واستلامها ، والطواف بها ونحو ذلك من الكبائر ..
وكانه أخذ ذلك مما ذكر من الأحاديث ..

وقال بعض الحنابلة :

قصد الرجل الصلاة عند القبر ، متبركاً به ، عين المحادة
لله تعالى .. ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وإبداع دين لم يأذن به
الله عز وجل ، للنهي عنها ، ثم اجماعاً ..

فإن اعظم المجرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها
مساجد أو بناؤها عليها ..

وتجب المبادرة لهدمها ، وهدم القباب التي على القبور ، إذ هي
أضر من مسجد الضرار لأنها أسست على معصية رسول الله ..
صلى الله عليه وسلم ..

لأنه عليه الصلاة والسلام نهى عن ذلك ، وأمر بهدم القبور
المشرفة ، وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر ، ولا يصح وقفه
ولا نذره .. الخ .

اشعاعات

المعجزة زلزلت عقول أهل المدينة .

هل يُعقل هذا .. قوم ينامون ثلاثمائة سنة ، ثم يُبعثون بيننا ،
ونشهدهم بأعيننا ؟!

فإذا ذهبنا جميعاً إليهم في كهفهم ، تحدثوا إلينا قليلاً ، ثم
استودعونا الله ، وعادوا إلى نومهم في كهفهم كما كانوا ؟!

وإننا لا ندري ، هل ناموا كما ناموا طيلة الثلاثمائة سنة ، أم
ماتوا هذه المرة ؟!

ماذا نفعل بهم ؟!

أنعاملهم على أنهم موتى ، فنبنّي عليهم بنياناً ، ونسد عليهم
كهفهم بالبناء ، ليكون لهم قبراً ؟!

أم نعاملهم على أنهم نيام ، وربما يستيقظوا مرة أخرى ، فلا نبنّي
عليهم بنياناً ، ولا نسد عليهم كهفهم ؟!

يُصور لك هذا التنازع في أمرهم ..

قول القرآن :

« إذ يتنازعون بينهم أمرهم » ..

فمن قائلين : « ابنوا عليهم بنياناً » ، لأنهم ماتوا هذه
المرّة ..

ومن قائلين : « ربهم اعلم بهم » .. فقد يكونوا نياماً !!

وأخيراً .. كانت الكلمة للملك ، وحاشيته ، واهل السلطة ..
كما هي العادة ، فقررروا ان يتركوهم كما هم في فجوة كهفهم ،
وان يقيموا فوق الكهف معبداً ..

« قال الذين غلبوا على امرهم » الذين بيدهم الامر والنهي
واتخاذ القرار ..

« لتتخذن عليهم مسجداً » لنقيمن على كهفهم معبداً ..

تخليداً لذكراهم ، وتعظيماً لآيات الله ، التي ظهرت فيهم !!

« سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجاء بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً .

« سيقولون » سيقول أهل الكتاب .. من اليهود المعاصرين له .. صلى الله عليه وسلم .. الخائضين في قصة أصحاب الكهف ..

والظاهر أن هذا اخبار بما لم يكن واقعاً بعد ..

كأنه قيل :

سيقولون إذا قصصت قصة أصحاب الكهف .. او إذا سئلوا عن عدتهم هم ..

« ثلاثة » أي ثلاثة أشخاص ..

« رابعهم » أي جاعلهم أربعة بانضمامه إليهم ..

« كلبهم » كان الظاهر أن يقال :

هم ثلاثة و كلب .. لكن بما اريد اختصاصها بحكم بديع
الشان ، عدل إلى ما ذكر ، لينبه بالنعت الدال على التفضلة
والتمييز .. على أن أولئك الفتية ليسوا مثل كل ثلاثة اصطحبوا ..
ومن ثم قرن الله تعالى في كتابه العزيز .. أخس الحيوانات
ببركة صحبتهم .. مع زمرة المتبتلين اليه المعتكفين في جواره
سبحانه ..

« ويقولون خمسة سادسهم كلبهم » أي وسيقولون هم خمسة
أشخاص ، وسادسهم كلبهم ..

« رَجَمًا بِالْغَيْبِ » أي رمياً بالخبر الغائب الخفي عنهم ، الذي لا
مطلع لهم عليه .. واتيانا به .. أو ظناً بذلك .

شبه ذكر أمر من غير علم يقيني واطمئنان قلب .. بقذف
الحجر الذي لا فائدة في قذفه ولا يصيب مرماه ..

« ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم » وسيقولون سبعة .. وثامنهم
كلبهم ..

وفائدة الواو هنا .. بأن قائلها ما ذكر قالوه عن ثبات علم
وطمأنينة نفس .. ولم يرموا بالظن كما رجم غيرهم ، فهو الحق دون
القولين الأولين ..

والدليل على ذلك أنه سبحانه وتعالى أتبعها قوله تبارك اسمه :
(رجماً بالغيب) وأتبع هذا قوله عز وجل ..

« قل ربي أعلم بعدتهم » أي أقوى وأقدم في العلم بها ..

« ما يعلمهم » أي ما يعلم عدتهم ، أي عددهم ..

« إلا قليل » وعلى إيدان الواو بما ذكر يدل كلام ابن عباس ،
رضي الله تعالى عنها ..

فقد رُوي أنه قال :

أنا من أولئك القليل ..

أما إذا قيل إن قوله تعالى :

(وثامنهم كلبهم) استئناف منه سبحانه .. لا حكاية عنهم ..

فيفهم أن القائلين سبعة أصابوا ..

ويقويه ذكر (رجماً بالغيب) قبل الثالثة ..

فدل على أنها مخالفة لما قبلها في الرجم بالغيب .. فتكون

صدقاً البتة ..

ويمكن أن يقال : المراد قلة العالمين بذلك قبل تصديقه
تعالى ..

وأسماءهم على ما صح عن ابن عباس :

مكشاهينا .. ويمليخا .. ومرطولس .. وثبيونس .. ودردونس
وكفاشيطيطوس .. ومنطنورسيس ..

وهو الراعي ..

والكلب اسمه .. قطمير ..

وروي عن عليّ .. كرم الله تعالى وجهه ..

ان أسمائهم ..

يمليخا .. ومكشلينيا .. ومشلينيا ..

وهؤلاء اصحاب يمين الملك ..

ومرنوس .. ودبرنوش .. وشاذنوش ..

وهؤلاء اصحاب يساره ..

وكان يستشير الستة .. والسابع الراعي .. ولم يذكر في هذه الرواية اسمه .

وذكر فيها ان اسم كلهم قطمير .. وفي صحة نسبة هذه الرواية لعليّ مقال ..

« فلا تمار » فلا تجادل .

أي : إذا قد وقفت على أن في الخائضين مخطئاً ومصيباً فلا تجادلهم ..

« فيهم » اي في شأن الفتية ..

« إلا وراء ظاهراً » غير متعمق فيه ..

وذلك بالاختصار على ما تعرض له الوحي المبين .. من غير تجهيل لجميعهم فإن فيهم مصيباً وان قلّ ..

ولا تفضيح. وتعنيف للجاهل منهم فان ذلك مما يخل بمكارم الاخلاق التي بعثت لاتمامها ..

وقيل ، وراء الظاهر .. القول لهم : ليس كما تعلمون ..

وقيل : وراء الظاهر ما كان بحجة ظاهرة ..

« ولا تستفت » ولا تطلب الفتيا ..

« فيهم » في شأنهم ..

« منهم » من الخائضين ..

« أحداً » فإن فيما افتيناك غنى عن الاستفتاء ..

وقيل : المعنى لا ترجع اليهم في شأن الفتية .. ولا تصدق
القول الثالث من حيث صدوره منهم .. بل من حيث التلقي
من الوحي ..

اشاعات

أمر هؤلاء الفتية دائماً عجباً ..

كان نومهم ثلاثمائة سنة عجباً ..

ثم بعثهم عجباً ..

ثم اكتشف أهل المدينة لهم عجباً ..

ثم موتهم او نومهم بعد ذلك في كهفهم عجباً ..

ثم ظلوا بعد ذلك للناس جميعاً عجباً ..

هل كانوا ثلاثة رابعهم كلهم ؟

هل كانوا خمسة سادسهم كلبهم ؟
هل كانوا سبعة وثمانهم كلبهم ؟
ذهب إلى كل رأي من هذه الآراء فريق من النصارى ..
وتناقلوه ، وأضافوا إليه من خيالهم ..
وكانت غرابة قصة أهل الكهف مصدراً خصباً لخيال
المؤمنين .. يدفعهم إلى هذه الاضافات الاسطورية شدة حُبِّهم للفتية
القديسين !!

ولا تقولن ..

لشيء ..

اني فاعل ذلك غداً !

- ٢٣ و ٢٤ -

« ولا تقولنَّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذلكَ غداً .
« إلا أن يشاءَ اللهُ » واذكر ربكَ إذا نسيتَ وقل عسى أن
يهدينَ ربي لأقربَ مِن هَذَا رَشداً .

« ولا تقولنَّ لشيءٍ » أي لأجل شيء تعزم عليه ..
« إني فاعل ذلك » الشيء ..

« غداً » أي فيما يستقبل من الزمان مطلقاً .. وهو تأكيد لما
يدل عليه إسم الفاعل .. بناء على أنه حقيقة في الاستقبال ..
ويدخل فيه الغد بمعنى اليوم الذي يلي يومك .. وهو المتبادر دخولا
أولياً ..

فان الآية نزلت .. حين سالت قريش النبي .. صلى الله عليه
وسلم .. عن الروح .. وأصحاب الكهف . وذي القرنين ..

فقال عليه الصلاة والسلام : غداً أخبركم .. ولم يستثن ..
فأبطأ عليه .. صلى الله عليه وسلم .. الوحي خمسة عشر يوماً ،
على ما روي عن ابن اسحاق ..
وقيل : أربعين يوماً ..
فشق ذلك عليه .. عليه الصلاة والسلام .. وكذبتة قريش ..
وحاشاه ..
إلا أن يشاء الله ، أي لا تقولن ذلك في حال من الأحوال إلا
حال ملابسته بمشيئة الله عز وجل بأن تذكر ..
أو .. لا تقولن فيما يتعلق بالوحي إني أخبركم به إلا أن يشاء
الله تعالى .. والله تعالى لم يشأ أن تقوله من عندك ، فإذا لا
تقولنه أبداً ..
« واذكُر ربك » تعالى .. أي مشيئة ربك ..
وذكر مشيئته تعالى على ما يدل عليه ما قبل ان يقال .. إن
شاء الله تعالى ..
وقد قال ذلك رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. حين نزلت .
« إذا نسيت » أي إذا فرط منك نسيان ذلك ثم تذكرته ، فانه
ما دام ناسياً لا يؤمر بالذكر ..

وهو أمر بالتدارك عند التذكر سواء قصر الفصل أم طال ..
عن ابن عباس .. رضي الله تعالى عنهما .. أنه كان يرى الاستثناء
ولو بعد سنة .. ويقرأ الآية ..

وروي ذلك عن أئمة أهل البيت ، رضي الله تعالى عنهم ..

«وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي» أي يوفقني ..

«لأقرب من هذا» أي لشيء أقرب واظهر ، من نبا أصحاب
الكهف ، من الآيات والدلائل الدالة على نبوتي ..
«رَشَدًا» إرشاداً للناس ، ودلالة على ذلك ..

وإلى هذا ذهب الزجاج ..

وقد فعل ذلك عز وجل ، حيث آتاه من الآيات البينات ما
هو أعظم من ذلك وأبين ..

كقصص الأنبياء .. عليهم السلام .. المتباعدة أيامهم ، والحوادث
النازلة في الأعصار المستقبلية إلى قيام الساعة ..

وكانه تهوين منه ، عز وجل ، لأمر قصة أصحاب الكهف ..
كما هونه ، جل وعلا .. أولاً بقوله سبحانه (أم حَسِبْتَ) الخ ..
وهو متعلق بمجموع القصة ..

ولبثوا ..

في كرفهم ..

تلا مائة سنين ؟

« ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا .

« ولبثوا في كهفهم ، أحياء .. مضروباً على آذانهم ..

« ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا » وهي جملة مستأنفة مبينة لما أجمل في قوله تعالى :

(فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً) ..

فعلى هذا قوله تعالى :

(قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) تقرير لكون المدة المضروب فيها على آذانهم هي هذه المدة .

كانه قيل :

قل الله أعلم بما لبثوا .. وقد أعلم ، فهو الحق الصحيح الذي لا

يحوّم حوله شك قط .

وفائدة تأخير البيان ..

التنبية على انهم تنازعوا في ذلك أيضاً ، لذكره عقيب اختلافهم
في عدة اشخاصهم ، وليكون التذييل بقل الله أعلم محاكياً للتذييل
بقوله سبحانه :
(قل ربي أعلم بعدتهم) ..

وللدلالة على انه من الغيب الذي اخبر به ، عليه الصلاة
والسلام .. ليكون معجزاً له ..

ووجه العدول عن المتبادر ، وهو ثلثمائة وتسع سنين ، مع انه
أخصر واظهر ..

هو الاشارة إلى أنها ثلثمائة بحساب اهل الكتاب ، واعتبار السنة
الشمسية ..

وثلثمائة وتسع بحساب العرب واعتبار السنة القمرية ، فاتسع
مقدار التفاوت ..

وقد نقله بعضهم عن عليّ .. كرم الله تعالى وجهه .

أو .. وجه الدلالة فيه ظاهر ..

لأن المعنى لبثوا ثلاثمائة سنة على حساب اهل الكتاب الذين

علموا قومك السؤال عن شأنهم ..
وتسعا زائدة على حساب قومك الذين سألوك عن ذلك ..
وقيل .. إنهم انتبهوا قليلا ، ثم ردوا إلى حالتهم الأولى ..
فلذا ذكر الازدياد .. وهو الذي يقتضيه ..
اي .. انهم انتبهوا بعد ثلثائة سنة ..
ثم عادوا إلى نومهم تسع سنين !!

قل ..

اللّٰه ..

اعلام ..؟

« قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا » .

« قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا » قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا .. وقد أعلم ..
فهو الحق الصحيح ، الذي لا يحوم حوله شك قط ..

« لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » أي جميع ما غاب فيهما ..
وخفي من أحوال أهلها ..

أي .. له تعالى ذلك علماً .. ويلزم منه ثبوت علمه سبحانه
بسائر المخلوقات ..

لأن من علم الخفي علم غيره بالطريق الأولى ..

« أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ » صِغْتَا تَعَجُّبٍ ..

والمراد أن ذلك أمر عظيم من شأنه أن يتعجب منه .. ولا
يتمكن صدور التعجب من بعض صفاته سبحانه وأفعاله عز وجل
حقيقة من غيره تعالى ..

ففيه إشارة إلى أن شأن بصره تعالى وسمعه عز وجل ..
وهما صفتان غير راجعتين إلى صفة العلم .. خارج عما عليه بصر
المبصرين وسمع السامعين ..

فإن اللطيف والكثيف .. والصغير والكبير .. والجلي
والخفي .. والسر والعلن ، على حد سواء في عدم الاحتجاب عن
بصره وسمعه تبارك وتعالى ..

وحاصل المعنى عليه ..

أنه جل شأنه يعلم غيب السماوات والأرض .. بصيراً به ..
وسمياً ..

على أتم وجه وأعظمه ..

« مَا لَهُمْ » أي لأهل السماوات والأرض .. المدلول عليه
بذكرهما ..

« من دونه » تعالى .

« من ولى » من يتولى أمورهم ..

« ولا يُشرك في حكمه » في قضائه تعالى ..

« آحداً » كائناً من كان .. ولا يجعل له فيه مدخلاً ..

وقيل : يحتتمل أن يعود الضمير لأصحاب الكهف ..

على معنى .. ما لهم من يتولى أمرهم .. ويحفظهم .. غيره
سبحانه ..

ولا يشرك في حكمه الذي ظهر فيهم احداً من الخلق !!

من باب ...

الإشارة ..

في الآيات^(١) ..!

(١) مستخلص من تفسير الألوسي ..

(أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا
عجبا) ..

قال الجنيد .. قدس الله سره :

أي لا تتعجب منهم .. فشأنك أعجب من شأنهم .. حيث
أسرى بك ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .. وبلغ بك
سدة المنتهى .

وكنت في القرب كقاب قوسين أو أدنى ، ثم ردك قبل انقضاء
الليل إلى مضجعك .

(إذ أوى الفتية إلى الكهف) ..

قيل .. هم فتيان المعرفة الذين جبلوا على سجية الفتوة ..
وفتوتهم إعراضهم عن غير الله تعالى ، فأووا إلى الكهف
للخلوة به سبحانه ..

(فقالوا) ..

حين استقاموا في منازل الأنس ، ومشاهد القدس .. وهيجهم
ما ذاقوا إلى طلب الزيادة .. والترقي في مراقي السعادة ..
(ربنا آتينا من لدنك رحمة) ..

معرفة كاملة .. وتوحيداً عزيزاً ..
(وهيمى لنا من أمرنا رشداً) ..

بالوصول اليك ، والفناء فيك ..
(فاضربنا على أذانهم في الكهف سنين عدداً) ..

كناية عن جعلهم مستغرقين فيه سبحانه ..
فانين به تعالى عما سواه ..

(ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً) ..

إشارة إلى ردهم إلى الصحو بعد السكر ، والبقاء بعد الفناء ..
ويقال ايضاً : هو إشارة إلى الجلوة بعد الخلوة ، وهما قولان
متقاربان ..

(نحن نقصر عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم) ..

الايان العلمي ..

(وزدناهم هدى) ..

بأن احضرنهم وكشفناهم ..

(ورهطنا على قلوبهم) ..

سكنها عن التزلزل بما اسكننا فيها من اليقين ، فلم يسنح فيها
هواجس التخمين ولا وساوس الشياطين ..

ويقال أيضاً : رفعناها من حضيض التلويح إلى أوج التمكين ..
(إذ قاموا) ..

بنا .. لنا ..

(فقلوا ربنا ربّ السماوات والارض) ..

مالك أمرها ومديرها ، فلا قيام لهما إلا بوجوده ، المفاض من
بحار جوده ..

(لن ندعُوَ من دونهِ إلهاً) ..

إذ ما من شيء إلا وهو محتاج اليه سبحانه ، فلا يصلح لأن
يدعي ..

(لقد قلنا إذا شطَطنا) ..

كلاماً بعيداً عن الحق ، مفرطاً في الظلم .

واستدل بعض المشايخ بهذه الآية ، على انه ينبغي للسالكين إذا
ارادوا الذكر وتحلقوا له أن يقوموا فيذكروا قائمين !!

(وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) ..

أي : وإذا خرجتم عن صحبة أهل الهوى ، واعرضتم عن
السوي .

(فآوؤا إلى الكهف) ..

فاخلوا بمحبوبكم ...

(ينشئ لكم ربكم من رحمته) ..

مطوى معرفته

(ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) ..

ما تنتفعون به ، من انوار تجلياته ، ولطائف مشاهداته .

قال بعض العارفين :

العزلة عن غير الله تعالى توجب الوصلة بالله عز وجل ، بل
لا تحصل الوصلة إلا بعد العزلة ، الا ترى كيف كان رسول الله ،
صلى الله عليه وسلم ، يتحنث بغار حراء حتى جاءه الوحي
وهو فيه ؟

(وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت
تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه) ..

لئلا يكثر الضوء في الكهف فيقل معه الحضور ، فقد ذكروا

أن الظلمة تعين على الفكر وجمع الحواس ..

ومن هنا ترى أهل الخلوة يختارون خلوتهم مكاناً قليل الضياء ،
ومع هذا يغمضون أعينهم عند المراقبة ..

وفي اسرار القرآن .. أن في الآية إشارة إلى أن الله تعالى حفظهم
عن الاحتراق في السبعحات .. فجعل شمس الكبرياء تزاور عن كهف قلوبهم
ذات يمين الازل وذات شمال الابد ..

وهم في فجوة وصال مشاهدة المجال والجلال .. محروسون
محفوظون عن قهر سلطان صرف الذات الازلية التي تتلاشى الاكوان
في أول بوادي إشراقها ..

وفي الحديث « حجاب النور لو كشفه لاحترقت سبعحات وجهه
كل شيء أدركه بصره » ..

وقيل في تأويله : إن شمس الروح أو المعرفة والولاية إذا
طلعت من أفق الهداية .. واشرقت في سماء الواردات .. وهي حالة
السكر وغلبة الوجد .. لا تنصرف في خلوتهم إلى امر يتعلق بالعقبي
وهو جانب اليمين ..

وإذا غربت أي سكنت تلك الغلبة وظهرت حالة الصحو .. لا
تلتفت هم أرواحهم إلى امر يتعلق بالدنيا وهو جانب الشمال .. بل
تنحرف عن الجهتين إلى المولى .. وهم في فراغ عما يشغلهم عن
الله تعالى ..

وذكر أن فيه إشارة إلى أن نور ولايتهم يغلب نور الشمس
ويرده عن الكهف .. كما يغلب نور المؤمن نار جهنم .. وليس هذا
بشيء وإن روي عن ابن عطاء ..

(مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ) ..

الذي رفعت عنه الحجب ففاز بما فاز ..

(وَمَنْ يُضِلَّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا) ..

لأنه لا يخلّذه سبحانه إلا لسوء استعداده .. ومتى فقد
الاستعداد تعذر الارشاد ..

(وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَمِمَّ رُقُودٌ) ..

إشارة إلى أنهم مع الخلق بأبدانهم .. ومع الحق بأرواحهم ..
وقال ابن عطاء :

هم مقيمون في الحفرة كالنومى .. لا علم لهم بزمان ولا مكان ..
أحياء موتى .. صرعى مفيقون .. نومى منتبهون ..

(وَنَقَلَهُمُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ) ..

أي ننقلهم من عالم إلى عالم ..

وقال ابن عطاء :

نقلبهم في حالتي القبض والبسط .. والجمع والفرق ..

وقال آخر :

نقلبهم بين الفناء والبقاء .. والكشف والاحتجاب .. والتجلي والاستتار ..

وقيل : في الآية إشارة إلى أنهم في التسليم كالميت في يد الغاسل ..

(وقلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) ..

وقال أبو بكر الوراق :

مجالسة الصالحين ومجاورتهم غنيمة وإن اختلف الجنس ، ألا ترى كيف ذكر الله سبحانه كلب أصحاب الكهف معهم لمجاورته إياهم ؟ .

وقيل : أشير بالآية إلى أن كلب نفوسهم معطلة عن الأعمال ..

وقيل : يمكن أن يراد أن نفوسهم صارت بحيث تطيعهم جميع الأحوال وتحرسهم عما يضرهم ..

(لو اطلعت عليهم) ..

أي .. لو اطلعت من حيث أنت على ما ألبستهم من لباس
قهر ربوبيتي و سطوات عظمتي ..

(لوليت منهم) ..

أي .. من رؤية ما عليهم من هيبتي وعظمتي ..
(فرارا ولمنت منهم رعبا) ..

كما فرّ موسى كليمي من رؤية عصاه حين قلبتها حيّة والبستها
ثوباً من عظمتي وهيبتي ..
(وكذلك بعثناهم) ..

رددناهم إلى الصبحو بعد السكر ..

(ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم : كم لبثتم . قالوا : لبثنا يوماً
او بعض يوم) ..

لأنهم كانوا مستغرقين لا يعرفون اليوم من الأمس .. ولا
يميزون القمر من الشمس ..

وقيل : إنهم استقلوا أيام الوصال ..

وهكذا شأن عشاق الجمال .. فسنة الوصل في سنتهم سنة ..
الهجر سنة ..

ويقال : مقام الحب مع الحبيب وإن طال قصير .. وزمان
الاجتماع وإن كثر يسير ..

إذ لا يقضي من الحبيب وطر وإن في الدهر ومرّ .. ولا
يكاد يعد الحب الليال إذا كان قرير العين بالوصال ..

ثم إنهم لما رجعوا من السكر إلى الصحو ..

ومن الروحانية إلى البشرية ..

طلبوا ما يعيش به الانسان .. واستعملوا حقائق الطريقة ..
وذلك قوله تعالى :

(فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينبظر أيها ازكي طعاماً
فليأتكم برزق منه، وليتلطف) ..

والإشارة فيه أولاً .. إلى أن اللائق بطالبي الله تعالى ترك
السؤال ..

وثانياً .. إلى أن اللائق بهم أن لا يختص أحدهم بشيء دون صاحبه ..

ألا ترى كيف قال قائلهم : (بورقكم هذه) ، فأضاف الورق اليهم جملة ..

وثالثاً .. إلى أن اللائق بهم استعمال الورع .. ألا ترى كيف طلب القائل الأزكى .. وهو الأحل ؟.

ولذلك قال ذو النون :

العارف من لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ..

ورابعاً .. إلى أنه ينبغي لهم التواصي بحسن الخلق وجميل الرفق ..

ألا ترى كيف قال قائلهم : (وليتلف) بناء على أنه أمر بحسن المعاملة مع من يشتري منه ..

وقال بعضهم : طعام أهل المجاهدات وأصحاب الرياضات ولباسهم الخشن من المأكولات والملبوسات .. والذي بلغ المعرفة ، فلا يوافقها إلا كل لطيف ..

(ولا يُشعرون بكم أحدا) ..

أي .. من الأغيار المحجوبين عن مطالعة الأنوار والوقوف على الأسرار ..

(إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم) ..

بأحجار الانكار ..

(أو يعيدوكم في ملتهم) ..

التي اجتمعوا عليها .. ولم ينزل الله تعالى بها من سلطان ..

(ولن يفلحوا إذا أبدا) ..

لأن الكفر حينئذ يكون كالكفر الابليسي ..

(ولا تقولن شيئا إنني فاعل ذلك غدا إلا إن يشاء الله) ..

إرشاد إلى محض التجريد والتفريد ..

وقيل : الآية نهى عن أن يخبر .. صلى الله تعالى عليه وسلم ..

عن الحق بدون إذن الحق سبحانه ..

(واذكُر ربك إذا نسيت) ..

أي إذا نسيت الكون بأسره حتى نفسك .. فإن الذكر لا

يصفوا إلا حينئذ ..

(وقل عسى أن يهدين ربي لأقربَ من هذا رشداً) ..

إن فوق الذكر منزلة هي أقرب منزلة من الذكر .. وهي
تجديد النعوت بذكره سبحانه لك .. قبل أن تذكره .. جل
وعلا ..

(ولبشوا في كهفهم ثلثائة سنين وازدادوا تسعاً) ..

وقد أوصل جل وعلا كثيراً من عباده بلا واسطة في
سويغات ..

(له) ..

تعالى شأنه ..

(غيبُ السماوات) ..

عالم العلو ..

(والارض) ..

عالم السفلى ..

ولا يخفى أن عنوان الغيبية إنما هو بالنسبة إلى المخلوقين ..
ولإلا فلا غيب بالنسبة إليه جل جلاله ..

(أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ) ..

أي .. ما أبصره تعالى وما أسمع .. لأن صفاته عين ذاته ..

(مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ) ..

إذ لا فعل لأحد سواه تعالى ..

(وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) ..

لكمال قدرته سبحانه .. وعجز غيره !!

نظرة جديدة ..

في قصة ..

أصحاب الكهف ..

قال .. العالم الجليل ..

أبو الحسن الندوي ..

في كتابه (الصراع بين الإيمان والمادية) .

حين عالج موضوع سورة الكهف ..

وما تشتمل عليه من قصص :

قصة اصحاب الكهف

من هم أصحاب الكهف والرقيم ؟.

ما هي قصتهم ؟.

وما قيمة هذه القصة ومكانتها في تاريخ الانسان ؟.

ولماذا خصها القرآن بالذكر ، حتى جعلها قصة باقية خالدة ..
تتلى على اختلاف الزمان والمكان .

قصة اصحاب الكهف في الادب المسيحي ، والقصص الدينية :

وقبل أن نقرأ قصة أصحاب الكهف في الأسلوب القرآني المعجز ، المركز الهادف ، والبلاغة القرآنية التي لا حشو فيها ولا فضول ..

نستعرض قصة أصحاب الكهف في الكتب التي تقدمت .. وفي القصص التي تناقلتها الألسن ، وتوارثتها الأجيال ، ونقارن بين موافقات القصتين ومفارقاتهما .

لم ترد قصة أصحاب الكهف في أسفار العهد العتيق ، فلما حدثت وقعت في فجر التاريخ المسيحي ، وبعدها ظهرت الدعوة إلى التوحيد ورفض الأوثان .. عن طريق أتباع المسيح عليه السلام ..

وبعدما دون آخر سفر من أسفار العهد العتيق ..

وليست القصة بطبيعتها - وقد تجلت فيها بطولة أتباع المسيح ، واستقامتهم - مما يحرص اليهود على حفظها ونقلها ، والتغني بها ، ولكنها من أحب القصص الدينية إلى المسيحيين ، لأنها من أعم القصص غرابة ، وأشدها دلالة على صرامة أتباع المسيح الاولين ، وقوة إيمانهم ، وتفانيهم في سبيل العقيدة والمبدأ ، وغيرتهم على تعاليم المسيحية النقية الأولى ..

وهي صالحة لإشعال الجمر الإيمانية ، وإلهاب الغيرة الدينية ، وإثارة قوة المقاومة ، والكفاح في نفوس المؤمنين في كل عصر ومصر ..

وهذه العناصر كلها التي تمتاز بها هذه القصة ، تضمن لبقاء هذه القصة على مدى الاعصار ، وانتشارها في الآفاق ، وانتقالها من جيل إلى جيل ، ومن عصر إلى عصر ، فكيف فهمها المسيحيون الاولون ..

وكيف رويها لمن جاء بعدهم ؟.

جاء في دائرة المعارف للأخلاق والديانات ما خلاصته :

إن قصة النائم السبعة هي من اكبر القصص التي تروى عن القديسين ، متعة عقلية ، واشتهاراً في الافاق .. إن عناصر القصة التي تشترك فيها اقدم الكتب كما يلي :

إن امبراطور « ديسيس » يدخل في المدينة اليونانية القديمة
« افيسيس » ويجدد فيها تقليد عبادة الاوثان ، ويأمر أهل المدينة
والمسيحيين بصفة خاصة بتقديم الذبائح والقرايين لها ..

وأقلع عدد من المسيحيين عن عقيدتهم النصرانية ، وبقي عدد
منهم متمسكين بدياناتهم ، محتملين لاضطهاد رجال الحكومة ..
وتعذيبهم .

وهنا يقدم إلى الامبراطور سبعة من الشباب (وتقول بعض
الروايات : إنهم كانوا ثمانية) وكانوا مقيمين في السراي ، وقد
اختلف في أسمائهم ، وقد اهتموا باعتناق النصرانية سرّاً ؛ وهم
يرفضون تقديم القرايين إلى الاوثان ، ويمهلهم الامبراطور لمدة طمعاً
في أن يرجعوا إلى صوابهم ، ويتوبوا عن النصرانية ، ويخرج من
المدينة ..

وفي خلال هذه المدة يغادر هؤلاء الشباب المدينة ، ويأوون
إلى كهف في جبل قريب كان يسمى بـ « أنشيلوس » ، ويخرج
أحدهم اسمه « ديوميديس » ، او « امبليكوس » متنكراً ، وفي ثياب
متوسخة مرقعة إلى البلد ، ليتعرف الاخبار ويشتري الطعام .

ولا يمضي على ذلك كثير حتى يرجع « ديسيس » إلى المدينة ،
ويأمر بأن يقدم إليه الشباب .

ويخبر « ديوميديس » زملاءه بهذا الأمر السلطاني ، فيتناولون الطعام ، وقد استولى عليهم الحزن والقلق ، ثم يستغرقون في نوم عميق طويل يسلطه الله عليهم .

ولما لم يهتد الامبراطور إلى هؤلاء الشباب ، طلب آباءهم ، فأبدوا براءتهم عن هذا التهرب ، وأن تكون لهم يد في هذه المؤامرة ، واخبروه بأنهم مستترون في جبل « انشيلوس » ..

وهنا يأمر الامبراطور بأن يسد مدخل هذا الكهف بحجارة كبيرة ، فيموتوا هناك حتف انوفهم ، ويبقوا موءودين في هذه المغارة ..

ويكتب مسيحيان ، احدهما « ثيودور » ، والاخر « ريفينوس » قصة هؤلاء الشهداء الشباب على لوحة من معدن ، ويدفنانها تحت الحجارة التي سد بها الغار .

وبعد أن مضى عليهم ثلاث مائة وسبع سنوات في عهد الامبراطور « ثيودوسيوس » الثاني .. تقوم ثورة يقودها بعض المسيحيين ، وتنكر جماعة منهم ، على رأسهم القس « ثيودر » عقيدة بعث الاموات ، وإمكان حشر الأجساد .

فيفزع ذلك الامبراطور المسيحي ، ويشغل باله .

وهنا يلهم الله ملاكاً اسمه « ادوليوس » أن يبني زريبة لغنمه في الميدان الذي يقع فيه هذا الكهف ، ويستخدم البناؤون لبناء هذه الزريبة ، الحجارة التي سد بها هذا الغار .

وهكذا ينكشف هذا الكهف ، ويوقظ الله هؤلاء الشباب في هذه الساعة .

فيخطر ببالهم انهم ناموا ليلة ، ويتواصون بأن يموتوا شهداء على يد « دسيس » إذا ألجأتهم الضرورة .

ويذهب أحدهم ، وهو « ديوميديس » إلى المدينة كالعادة ، ويقف حائراً امام الصليب المنقوش على رتاج المدينة ، حتى يضطر إلى أن يسأل أحد السابلة ، هل هي مدينة أفسيس حقاً ؟

ويصبح تواقاً إلى إخبار زملائه بهذا الانقلاب العظيم ، ولكنه يملك عاطفته ويشترى الطعام ، ويقدم في ثمنه النقود التي كان يحملها .. وهي العملة التي كان يتعاطاها الناس في عهد ديسيس ..

ويعتقد صاحب الدكان ، واهل السوق ، ان الشاب قد عثر على ركاز قديم ، ويريدون ان يكون لهم نصيب فيه ، ويهددون الشاب ويخوفونه .. ويقودونه من بين وسط المدينة وأسواقها ، ويتألب عليه الناس .

ويبحث الشاب ، في هذا الجمع الحاشد عن رجل يعرفه ؛
فلا يجده .

ويستخبره الأسقف حاكم البلد عن شأنه ، فيخبره بالقصة
بطولها ، ويدعهم إلى ان يرافقوه إلى الكهف ، ويزوروا زملاءه
الآخرين ..

فيرتقون قمة الجبل ، وهناك يجدون لوحتين رصاصيتين تصدقان
قصة الشاب

فيدخلون الكهف ويجدون زملاءه أحياء ، يغشى وجوههم
النور والسكينة .

وينمي الخبر إلى الامبراطور « ثيودوسيوس » فيزور الكهف ،
وهنا يقول له « مكسيميليان » او « اخيليدس » ، أو شاب آخر :

(إن الله سبحانه وتعالى قد سلط عليهم النوم ليبرهن على
الحشر والنشر .. ثم ايقظهم قبل أن تقوم القيامة ، وبعد ذلك
مات الشباب موتهم الأخير ، وقد بنى هيكل رومي في تذكارهم) .

اما مكانة هذه القصة التاريخية ؛ فلا يشك كبار المؤرخين
والناقدين للأساطير الشائعة في صحتها ، وإمكان وقوعها لشهرتها
واستفادتها في العالم المسيحي ، وتناقل الأجيال والكتب لها .

يقول « جبون » ، الذي جنح دائماً إلى تزييف مثل هذه الاخبار الغربية :

« إن هذه القصة الغربية لا يمكن ان تحمل على مجرد خرافة الاغريق ومغالاتهم الدينية ، فقد اتصلت الروايات الموثوق بها .. وتسلسلت إلى خمسين سنة بعد وقوع هذه المعجزة (المفروضة) .

وقد خصص قس سوري ولد بعد الامبراطور ثيودوسيوس الأصغر بسنتين اسمه James of Sarus ، رواية من رواياته التي يبلغ عددها إلى مائتين وثلاثين لمذح شبان أفسيس (أصحاب الكهف) .

وقبل أن ينقضي القرن السادس المسيحي نقلت أصحاب الكهف هذه من اللغة السورية إلى اللغة اللاتينية ، بعناية غريغوري .

وقد حفظت ذكرى أصحاب الكهف في اجتماعات العشاء الرباني في الشرق المسيحي باجلال واحترام ..

ودونت أسماءهم باحترام بالغ في الأعياد الرومية والتقويم الروسي ، ولم تقتصر شهرتهم في العالم المسيحي فحسب .

اما عدد الأعوام التي قضوها في المنام فهو يتراوح بين ثلاث مائة سنة ، كما نقله المفسرون المسلمون عن المسيحيين ..

وثلاث مائة وسبع سنين (كما جاء في مقالة دائرة المعارف
للأخلاق والديانات) ..

أما التفاوت بين ثلاث مائة سنين ، وثلاث مائة سنين وتسع
سنوات كما جاء في القرآن ، فقد حمله المفسرون والمتقدمون على التفاوت
بين التقويم الشمسي والقمرى ..

قال ابن كثير :

وهذا خبر من الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمقدار
ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم ، منذ أرقدهم إلى أن بعثهم
الله ، واعثر عليهم أهل ذلك الزمان .. وأنه كان مقداره ثلاث مائة
سنة تزيد تسع سنين بالهلالية ، وهي ثلاث مائة سنة بالشمسية ..
فلهذا قال بعد الثلاث مائة : « وازدادوا تسعاً » .

ويستشكل على ما جاء في مقال دائرة المعارف الذي نقلناه .
وكتاب جبون ، على ما شاع على السنة الناس ، وتقل في أكثر
كتب التفسير والتاريخ من اختفاء أصحاب الكهف ولجؤهم إلى
كهفهم كان في عهد ديسيس الامبراطور الروماني الذي يسميه
المؤرخون العرب ، وعلماء المسلمين والعامة بدقيانوس ، وأنه كان
نتيجة اضطهاده للعقيدة المسيحية ، وقسوته التي اشتهر بها في
التاريخ .

وأن ظهور أمرهم والعثور عليهم كان في عهد ثيودوسيوس الثاني
الامبراطور المسيحي المؤمن ، يستشكل على كل هذا أن الفترة بين
عهدهما لا تزيد على مائتي سنة على الأكثر^(١) .

وعلى هذا الأساس تهكم « إدوار جبون » بالعدد الذي جاء في
القرآن في تحديد مدة نومهم ..

والتجأ بعض المفسرين القدامى ، وبعض المفسرين العصريين ،
- تفادياً من هذا الإشكال - إلى أن ما جاء في القرآن ، إنما هو
حكاية قول أهل الكتاب ، ومن ضمن مرائهم وتخرصاتهم ، ومتصل
بالكلام السابق .

وهو قوله تعالى :

(سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) ..

إلى آخر ما حكي عنهم من الجدل والاختلاف .

(١) لقد برهنت الحفريات الأثرية أنهم كانوا في عصر تراجان لا في
عهد (دقيانوس) والفترة بين عهده وعهد ثيودوسيوس تطابق
الفترة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم .

ونسب ذلك إلى قتادة ، ومطرف بن عبدالله .. وروى فيه
قراءة شاذة :

(وقالوا ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين) ..

(قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض) .

قالوا فلو كان ذلك تقريراً من الله لما عقب عليه بهذا التفويض
إلى علم الله .

ونقل هذا التفسير عن ابن عباس أيضاً .

ولكن قال العلامة الألوسي :

« ولعل هذا لا يصح عن الخبر رضي الله عنه ، فقد صح عنه
القول بعدة أصحاب الكهف سبعة وثامنهم كلهم .. »

مع أنه تعالى عقب القول بذلك بقوله سبحانه :

(قل ربي أعلم بعدتهم) ..

ولا فرق بينه وبين قوله تعالى :

(قل الله أعلم بما لبثوا) ..

فلم دل هذا على الرد ، ولم يدل ذاك ؟

ورده بعض كبار العلماء ، وقالوا :

إن الذوق العربي السليم ياباه ، ولا يتبادر اليه ذهن القارىء ،
إذا لم يكن مطلعاً على هذا التأويل والتفصيل .

قال الامام الرازي :

وأما قوله : « سيقولون ثلاثة رابعهم كلهم » ، فهو كلام قد
تقدم ..

وقد تخلل بينه وبين هذه الآية ما يوجب انقطاع أحدهما عن
الآخر وهو قوله :

« فلا تمار فيهم إلا مرء طاهراً » .

وقوله :

« قل الله أعلم بما لبثوا ؛ له غيب السموات والأرض » .

لا يوجب أن ما قبله حكاية ..

وذلك لأنه تعالى أراد بقوله :

« قل الله أعلم بما لبثوا ، له غيب السموات والأرض » .

أي فارجعوا إلى خبر الله دون ما يقوله أهل الكتاب .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :

إن بعض المفسرين زعموا أن هذا قول بعض أهل الكتاب لقوله

تعالى :

« الله اعلم بما لبثوا » .

وليس كذلك فإن الله لم يذكر هذا عن اهل الكتاب ، بل ذكره كلاماً منه تعالى .

إن مصدر هذا الاشكال والتناقض المفروض بين العدد الذي يقرره القرآن ، وبين العدد الذي يقرره « جيون » والذي يبنى على استعراض التاريخ الروماني ، هو ما اشتهر من أن حادثة اختفاء الفتية ولجوئهم إلى الكهف قد وقعت في عهد « ديسيس » الذي حكم بين سبتمبر سنة ٢٤٩ م ويونيو ٢٥١ م .

ولعل الذي جعله بطل هذه القصة ما اشتهر عنه من قسوة ومن سفك للدماء ، واضطهاد عام للمسيحيين ، وإجبار على تقديم الذبائح والقرايين الدينية أمام رجال الحكومة المعينين ، والامر بالحصول على الشهادات منهم .

ولكن الذي يشكك في تعيين هذا الامبراطور ليكون مسؤولاً عن هذه الحادثة .

وبطل القصة ، هو أن مدة حكمه كانت قصيرة جداً ، لا تبلغ سنتين ، وأنه قضى اكثر هذه المدة في الحروب مع القوط ، وقد مات قتيلاً بأيديهم على شاطئ نهر « الراين » في فرنسا .

ومن المحتمل أن يكون قد وجد فرصة للقيام بجولة في المدن الشرقية اليونانية التابعة لمملكته العظيمة الواسعة ، ولم يذكر التاريخ له رحلة إلى بلاد الإغريق ، والمملكة الشرقية .

وقد جاء في تاريخ المؤرخين للعالم ، أن مدة « ديسيوس » كانت قصيرة جداً وهادئة ..

فلم يكد يتولى الحكم حتى اضطر إلى التوجه إلى « كال » لقمع ثورة قامت هناك ، وانقضت مدة حكمه كلها في الحروب مع القوط ..

وقد ذكر المؤرخون أسماء أولئك القادة المسيحيين الذين عاقبهم الامبراطور على عدم خضوعهم لمرسومه ، ولم يذكروا فيه أصحاب الكهف ..

ولم يكن عدد الذين عوقبوا من المسيحيين كبيراً ؛ فقد ذكر « جيون » نفسه أن عدد المعاقبين والمعتندين لم يتجاوز عشرة رجال وسبع نساء .

ثم إن حادثة اختفاء رهط من المسيحيين حادثة محلية لم تكن من الاهمية في وقت حدوثها بكان يلفت إليه أنظار المؤرخين ، ويحرص على تدوين تاريخها المؤلفون بخلاف يقطتهم من هذا النوم الطويل الخارق للعادة ، وخروجهم إلى البلد ، وانتشار صيتهم في الآفاق .

وبعد أن تدوي الأوساط الدينية بنجرهم ، فوقع هذه الحادثة الثانية ؛ حادثة انتباههم من النوم ، وانتشار خبرهم في العالم المسيحي في عهد ثيودوسس من الحوادث المستفيضة المدوية في الافاق الشاعلة للنوادي والمحافل ، التي يحرص المؤرخون على تدوينها وتسجيلها ، ويتنافس النقلة والرواة في نقلها وحكايتها ..

فترجح ان حادثة الاضطهاد والاختفاء وقعت في عهد الامبراطور هادرين الذي حكم طويلاً ..

ويذكر التاريخ انه قام بجولة في الولايات الشرقية ، دامت من ١٢٩ م إلى ١٣٤ م ، ولا يلزم أن هذا الاضطهاد قد وقع على يده مباشرة ، أو بايعاز منه ..

ولا يلزم كذلك أن يكون قد علم به وارتضاه ، فقد اتسعت الامبراطورية الرومية في ذلك العهد اتساعاً كبيراً ، وانتشر الولاة والحكام في ولاياتها ومدنها .

فمن المعقول جداً أن يقوم أي حاكم أو وال بعملية اضطهاد ديني ، أو مطاردة دينية ، وفقاً لاتجاهه الخاص وحماسه الديني ، أو تطبيقاً لسياسة الدولة العامة إزاء الديانة الحديثة وتتخطى في ذلك الحدود ، وهذا يقع في كل حكومة وعهد ..

فإذا قررنا أن اضطهادهم واختفاءهم كان في أثناء هذه الجولة ،

وظهورهم في عهد ثيودوسس ، لم يكن هناك تفاوت كبير بين عدد المسيحيين وعدد القرآن ..

ولم يكن هناك أساس لتهمهم « جبون » فإن بداية هذه القصة ونهايتها لا تُعرفان بالتحديد الزمني الدقيق .

وقد اضطربت اقوال المؤرخين السوريين ، والمؤرخين الاغريق في تعيين سنة اليقظة والخروج .

فالمؤرخون السوريون يزعمون أنها ٤٢٥ م أو ٤٣٧ م . وتقول الروايات الاغريقية :

إن الخروج كان في السنة الثامنة والثلاثين من حكم « ثيودوسس » الثاني .

معنى ذلك أنها كانت في سنة ٤٤٦ ، ونؤمن بأن القرآن الذي جاء مهيمناً على الكتب السابقة ، أحق في التعويل والاعتماد من هذه الروايات المضطربة ، والاساطير والمصادر ، التي كانت عرضة للتغيير والزيادة ..

وقد ظهر الاضطهاد الديني للمسيحية في شكل سافر من عهد نيرون (٦٤ م) ، واستمر إلى أن كانت المسيحية ديانة أباطرة الروم بشكل عام ، واعتنق قسطنطين النصرانية في القرن الرابع المسيحي .

ولا يزال تاريخ المسيحية الأول يكتنفه الشيء الكثير من الغموض لغرابتها وضعفها ، ويعوزه التدوين التاريخي الذي يعتمد عليه .

وطبيعة اختفاء جماعة قليلة العدد في مدينة صغيرة لم تحتل المكانة الأولى المرموقة ، في المملكة ، تختلف اختلافاً كبيراً عن الظهور الذي اقترن به عناصر الغرابة الكثيرة في عهد ملك يدين بديانتهم ، ويقدر هذا الحادث على تقدير في زمن أصبحت فيه عقيدة الحشر والنشر ، والحياة بعد الموت موضوع جدال عنيف ، ونقاش كبير ، واشتدت الحاجة فيه إلى برهان ساطع على إمكانية وقوعه .

فنهاية هذه القصة وتحديد العهد الذي انتبه فيه أصحاب الكهف واشتهر أمرهم ، لا يقبل شكاً ولا مرأى .

فقد عرفت الطبيعة البشرية بالحرص على الاحتفاظ بمثل هذه الحوادث الجسام وتتبعها ، وتتواتر الدواعي الدينية والعاطفية ، والعقلية على تحقيقها وتسجيلها للأجيال القادمة بخلاف بداية هذه الرواية ، ومقدمة هذه الحادثة ، والله أعلم بحقيقة الحال .

حكمة اختيار القرآن لهذه القصة :

تمسك المفسرون في سبب ورود هذه القصة الغريبة في القرآن بما رواه محمد بن إسحاق عن بعث قريش وفد منهم إلى أحبار يهود بالمدينة وسؤاله أياهم عن أسئلة يختبرون بها صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، واتصاله بالسما . .

فاختاروا لهم أسئلة فيها سؤال عن أصحاب الكهف ، وهذه الرواية إن صحت ، فليست هي السبب الرئيسي .

والسبب الوحيد لاختيار القرآن لهذه القصة ، من بين قصص الاضطهاد الكثيرة ، والقصص العربية التي لا سبيل إلى معرفتها ، والاعتماد بحقيقتها إلا الوحي .

وأن قصص أسباب النزول ، وإن أفاض فيها المفسرون ، وعنى بها العلماء المتقدمون العناية الكبيرة لا تحتل المكانة التي أحلها كثير من العلماء ، وقد كان في مقاصد الإصلاح والتعليم التي جاء لتحقيقها

القرآن .. وفي البيئة الفاسدة الموبوءة التي بعث فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ، نزل فيها القرآن .

وفي طبيعة البشرية التي لا تختلف اختلافاً كبيراً ، وفي الأزمان والبيئات التي تتوالى وتتجدد ، والحوادث التي تتعاقب وتتكرر ، وفي الأجيال البشرية التي سيخاطبها القرآن ، وتقودها النبوة المحمدية على اختلاف الأعصار والامصار .

كان في كل ذلك دواع أقوى واحق بالاستجابة ، وأسباب أظهر وأجدى بالاهتمام من سؤال طائفة أو امتحان جماعة ، ومن قصة يرويها بعض الرواة في سبب نزول آية أو سورة .

يعجبني في ذلك ما قاله شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم ، المعروف بولي الله الدهلوي ، في كتابه الفريد « الفوز الكبير » في أصول التفسير ..

قال رحمه الله :

« وعامة المفسرين يربطون كل آية من آيات المحاسبة وآيات الأحكام بقصة ، ويعتقدون ان تلك القصة كانت سبب نزولها ، والمحقق ان الغاية الأساسية من نزول القرآن هي تهذيب النفوس البشرية ، والقضاء على العقائد الباطلة ، والأعمال الفاسدة ، فوجود العقائد الباطلة في المكلفين سبب مستقل لنزول آيات المحاسبة ، ووجود

الأعمال الفاسدة ، وانتشار المظالم فيما بينهم سبب كاف لنزول آيات الأحكام وعدم انتباههم وازدجارهم بما جاء في القرآن من ذكر آلاء الله ، وأيام الله ، وما يقع عند الموت وبعده ، علة حقيقية لنزول آيات التذكير .

أما القصص الجزئية ؛ والحكايات المعينة التي أتعب المفسرون نفوسهم في نقلها ، وأطالوا النفس في ذكرها والحديث عليها ؛ فليس لها دخل كبير ، ولا أهمية ذات بال ، إلا في بعض الآيات ، حيث وقع التعريض فيها لحادث من الحوادث وجدت في زمنه صلى الله عليه وسلم ، او قبل ذلك .

ولا يزال ما يعرض السامع من التشوف عند سماع ذلك التعريض إلا ببسط هذه القصة .

وقد جاءت هذه القصة في أوانها ومكانها ، فقد كان المسلمون في مكة يواجهون نفس الأوضاع التي واجهها الفتية في أوج الاضطهاد والاستبداد في عهد القياصرة ..

وكانوا يعيشون في فترة تشبه الفترة التي عاش فيها الفتية المؤمنون قبل أن يغادروا البلد ، ويلجأوا إلى الكهف ، ولا تصوير أبلى من تصوير القرآن :

(واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض ، تخافون أن
يتخطفكم الناس) ..

ودوواين الحديث ، وكتب السيرة تفيض بقصص الظلم والقسوة
والتعذيب والتنكيل .

وتحكي من أخبار محنة بلال ، وعمار ، وخباب ، ومصعب ،
وسمية وأصحابهم ما تقشعر منه الأبدان ويشمئز منه الوجدان .
ويصور القرآن والسيرة الجو الرهيب الخائق الذي أحاط بالمسلمين
في مكة .

الجو الذي لا تظهر فيه بارقة أمل ، ولا يتفتح فيه منفذ يدخل
منه النور والهواء .

فكانهم كانوا بين طبقي الرحي ، وفي براثن الأسد الضاري ، ولا
أدق من التعبير القرآني :

(حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم
وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه) ..

هنالك ينزل الوحي ، ويقص عليهم القرآن قصص الفرج بعد
الشدة ، واليسر بعد العسر ، والعزة بعد الذل ، ونزول نصر الله من
فوق سبع سموات خارقاً للعادة ، مكذباً لكل قياس ، هادماً لكل

تجربة ، متحدياً لكل عقل ، كيف أجاز الله قلة مؤمنة ، وحفنة
من البشر ، مجردة من كل قوة وسلاح ، من الكثرة الكاثرة ، الكافرة
الفاجرة ، الظالمة الغاشمة ، المالكة للحول والطول ، المستحوذة على
القوى والطاقات ، والذخائر والوسائل .. وكيف أخرج الحي من
الميت ، والميت من الحي .. وأطلع النور من الظلمة ، وجعل من
الأعداء القتلى الذين ولغوا في الدماء .. وأكلوا الأكباد ..
حماة حارسين .. وآباء مربين .. وكيف ورث الابن المؤمن
الآب الكافر .

تشبيه بين المهتحنين في مكة وأصحاب الكهف :

فقص الله في هذه الفترة الرهيبة ، التي يستولي فيها اليأس والتشاؤم ، وتزيغ فيها الأبصار ، وتبلغ القلوب الحناجر ..

قصة يوسف إخوته ، وقصة موسى مع فرعون ، وهي قصة فرد وجماعة ، وقصة نبي وأمة ، وقص عليهم قصة أصحاب الكهف مع الملك الجبار ، والسلطان الطاغية ..

وهي قصص تختلف عصورها وبيئاتها ، وتختلف فيها الأشخاص الذين تدور حولهم القصة وتنطق في غايتها ، وتتشابه في نهايتها ، وتتفق على نقطة واحدة ، وهي الإرادة القاهرة ، التي تنصر المؤمن على الكافر ، والبر على الفاجر ، والمظلوم على الظالم ، والضعيف على القوي ، والفقير على الغني ، تحار منها الأبواب ، وتشده بها العقول ، يؤمن بها الكافر ، ويوقن بها المتشكك ..

فيقول في آخر قصة يوسف :

(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، ما كان حديثاً يفترى
ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم
يؤمنون) .

وقال في آخر سورة هود :

(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك
في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) .

وما أشبه المسلمين في مكة بالفتية المؤمنين الذين لجأوا إلى
الكهف فراراً بدينهم من الفتن ..

فبقوا فيه إلى أن قلب الله الليل والنهار .. وانقرضت الدولة
الكافرة المضطهدة لأهل الإيمان والعقيدة ، وطوي بساطها ، وجاء على
عرش روما - الذي اقترن قروناً طوالاً بالحكم الوثني المشترك ..
والملك العضوض الفاجر -

من يحمي ديانة المسيح ودعوته ، ويفتخر بالنسبة اليها ، وحمل
رايتها ، ويقدر كل من أبلى فيها بلاء حسناً ، ويحيطه بهالة من
الإجلال والتكريم ، والحب والتعظيم ..

كذلك عاش المسلمون في مكة ما عاشوا ، متمسكين بدينهم ،
كانهم قابضون على الجمر ، واقفون على الرضف حتى جاء الفرج ،
وأذن لهم بالهجرة ..

فرجعوا إلى حصن حصين ، وكهف متين ، هي مدينة يثرب ..
لكن الله أراد بهم أكثر مما أراد بالفتية المؤمنين ، اللاجئين إلى
الكهف في القرن الثاني المسيحي .. أراد أن يظهر بهم دينه على
الدين كله ..

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
ولو كره المشركون) ..

وقرن البعثة المحمدية - وهي الرسالة الأخيرة التي ختمت بها
الرسالات - ببعثة أمة .. فقال :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر وتؤمنون بالله) ..

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« إنما بعثتم مبشرين ولم تبعثوا معسرين » ..

فلم يكن يجدر بهذه القلة المؤمنة كهف ضيق محدود يبقون فيه

بعيدين عن الحياة ، عاجزين عن كل نشاط . وعليهم تقوم الدعوة
ويتوقف مستقبل الإنسانية ..

هم ملح الأرض - في لغة المسيح عليه السلام - والبذرة التي
ينبت بها الزرع الكريم ؛ الذي فيه حياة الإنسانية ، وقيام الناس .
فهي أكرم على الله من أن تضيع ، وقيام بعد اليقظة ، وتنطوي
في العزلة ..

فهي تدعو إلى دين الله ، وتكافح الباطل وتقاومه ، وتجتهد
لترفع الظلم عن الإنسانية كلها ، ولتكون كلمة الله هي العليا ..
(حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) ..

وقد خرج رائد « أصحاب الكهف » فوجد الناس غير الناس ،
والمدينة غير المدينة ، والدين غير الدين ..

وجد دينه هو الذي يحكم ويسود ، وعقيدته هي التي تكرم
وتشرف ..

وكذلك لما خرج المهاجرون من المدينة إلى مكة ، استقبلتهم
بغير الوجه الذي كانت تستقبلهم به ، وإذا براية الإسلام تخفق
وتعلو ، ومفتاح الكعبة بيد الرسول صلى الله عليه وسلم يضعه حيث
يشاء ..

وإذا بالناس يدخلون في دين الله أفواجا ، وإذا بالإسلام هو
مصدر كل شرف وكرامة ، وإذا بالوثنية هي موضع كل ذل
 وإهانة .. وإذا بطرداء الأمس هم سادة الناس ، واساتذة الخلق في
كل شيء ..

فما أشبه قصة أصحاب الكهف بقصة اهل مكة المؤمنين ،
والفتية المهاجرين ، مع فرق يسير ، اقتضته طبيعة الإسلام وحاجة
الانسانية .

التاريخ يعيد نفسه مرة بعد مرة :

وقد كتب الله لهذا الدين الخلود ، ولهذا الأمة البقاء ، والانتشار في العالم ..

فاستلزم ذلك أن تمر بجميع المراحل التي مرت بها أمم كثيرة في عهود كثيرة ، وأن تواجه دعوتها جميع المراحل الطبيعية التي تحتوي عليها الحياة الانسانية ، من ضعف وقوة ، وقلة وكثرة ، وفتح وهزيمة ، وموافقة ومعارضة .

وكثيراً ما تتعرض جماعات تقوم بالدعوة وتستقيم على العقيدة لاضطهاد فظيع ، وتعذيب وتنكيل ، ونفي وتشريد ..

وقد يكون ذلك في ظل حكومات كافرة ، وقد يكون ذلك في ظل حكومات تتسمى بالإسلام ، ويقودها رجال ينطقون بكلمة التوحيد ، ويبنون المساجد . ويقيمون الموالد والمهرجانات الدينية ،

ويحتفلون بالأعياد الإسلامية ، والشعائر الدينية .

ولكنهم أحياناً يعتبرون الدعوة الإسلامية ، والعقيدة الصحيحة أكثر خطراً وأعظم ضرراً على كياناتهم ومقاصدهم من الدعوات الجاهلية والخرافات الوثنية ، والأفكار الهدامة والفلسفات الملحدة ، فتعود قصة الكهف في أرض الإسلام من جديد ، ويبدأ الصراع بين القلة المؤمنة الضعيفة والكثرة « المناققة » القوية .. وهناك يجد هؤلاء الفتية روحاً ونوراً في قصة أصحاب الكهف :

(انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض ان ندعو من دونه إلها لقد قلنا اذا شططاً) ..

وقد تشتد هذه الحال ، ويضيق الخناق ، ويستحيل الجمع بين الحياة والحرية ، وبين الإيمان والعقيدة ، فلا تبقى للمسلمين حيلة إلا الفرار من المجتمع ، واللجوء إلى العزلة ، وتلك حالة لا تعرض إلا في أحقاب متطاولة ، وأزمات نادرة ..

لكن لسان النبوة قد أنبأ بذلك ، لأن النبوة المحمدية ، هي نبوة الأزمات كلها ، وهي المرشدة في الأحوال كلها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع به شعف الجبال
ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن ، .. »

وهناك تغيثه سورة الكهف ، وتنير له الطريق .

والان .. استعرض قصة أصحاب الكهف ، في ضوء القرآن
وفي إطار قصصي واسع ، تلمس فيه الحياة ، وتستوحي منه
العبرة والعظات .

دولة الوثنية والخلاعة

في مدينة من المدن الرومية الكبرى - إذا شئت سميتها إفسس أو إفسوس - في فجر التاريخ المسيحي ، بلغت المادية ، وما يتبعها من الوثنية السافرة ، والأبيقورية الوقحة أوجها وزهوها .

وقد شهد التاريخ بأن الوثنية تقترب بها الخلاعة والشهوانية دائماً ، كان بينهما عهداً وحلفاً .

كذلك كان في الهند القديمة ، كما دلت الآثار والحفريات ، وكذلك كان في يونان ومصر ، وجزيرة العرب في الجاهلية .

واستهزت الحكومة ورجالها في عبادة الأصنام ، وعبادة الشهوات ، وعبادة المادة والقوة ، وانطلقت موجة عنيفة من الوثنية والشهوانية ، جرفت كل القيم الروحية والخلقية ، وأصبح المجتمع - في هذه العاصمة مجتمعاً مادياً محضاً ، لا يدين إلا بالمظاهر والمحسوسات ، ولا يؤمن إلا باللذات العاجلة ، والمنافع الحاضرة ،

واستولت الحكومة -- بطبيعة الحال -- على جميع وسائل المعيشة والرفاهة في حدود المملكة ، وأصبحت مصدر الرخاء والشراء ، والمجد والشرف ، وأصبح اتباع عقيدتها واتجاهها ، وتقليد رجالها ، القنطرة الوحيدة للوصول إلى الحكم والغنى ، والمجد والشرف .

والتف حولها « الانتهازيون » وأصحاب الطموح من كل جانب ، وأصبح الناس طرازاً واحداً ، أو قطعة واحدة ، من عبادة الشهوات ، وعشاق المناصب والوظائف وهواة الاقطاعات والولايات .

وألحت الحكومة ، وأسرفت في تطبيق عقيدتها وفرض اتجاهها على أهل البلاد ، وتتبع كل من يخالفها في دين الوثنية ؛ واتجاه الإباحية ، والتمتع بالحياة ، فحرمته نعمة الحياة ، وسلبته حقوقه المدنية ، فأصبحت الحياة في هذه البلاد أسلوباً واحداً ، وصبغة واحدة من الخرافة والخلاعة ، لا يحتمل اختلافاً في اللون ، أو تنوعاً في العقيدة والأخلاق ، وأصبح الناس على اختلاف اجناسهم وطبقاتهم ، وأعمارهم ومدارك عقولهم نسخة واحدة من كتاب مطبوع في مطبعة متقنة .

ثوار مؤمنون

في هذه الدولة الوثنية الجائرة ، وفي هذا المجتمع المتهتك الخليع ، وفي هذا المحيط الضيق المطبق ، وفي هذا الجو القاتم الخانق ، وجد رهط من الناس تسربت اليهم دعوة المسيح - عليه السلام - فصادفت منهم عقولا واعية ، وقلوبا خاشعة ، وضمائر حية ، ففتحتها وملكاتها ، وشغلت من نفوسهم كل مكان ، ومن قلوبهم وتفكيرهم كل جانب ، وأصبحت لهم إيمانا وعقيدة ، ولذة وقوة ، وبداهة و يقيناً ، فأصبحوا لا يعيشون بغيرها ، ولا يبيعونها بأكبر ثمن في العالم ، ولو كان هذا الثمن نفوسهم وحياتهم .

من هنا بدأ الصراع ، بدأ ذلك في نفوسهم أولاً ، ثم في الخارج ثانياً ، وكذلك الصراع يبدأ دائماً في النفوس .

لقد اتجهوا اتجاهاً معارضاً للحكومة والمجتمع ، فالحكومة وثنية لا تقبل إلا الوثنية ، والمجتمع خليع لا يرضى إلا بالخلاعة ، ولا حياة - فضلاً عن الحكم والغنى - إلا بالحكومة والمجتمع .

إن فلسفة الأسباب والمسببات - وإن دراسة المدنية والمجتمع ،
وإن واقع الحياة ، كل ذلك يفرض عليهم أن يخضعوا للحكومة
والمجتمع ..

فلا شبع من غير طعام ، ولا طعام من غير مال ، ولا مال إلا
عند الحكومة ، ولا شرف ولا سمعة إلا بالجاه ، ولا جاه إلا بالوظيفة
ولا وظيفة إلا عند الحكومة ، ولا هدوء ولا سلامة إلا بمسيرة
الناس وموافقة المجتمع ، ولا موافقة إلا باتباع العقيدة السائدة
والاتجاه العام !!

هذا هو المنطق المادي ، يقوم على المشاهدة والتجربة ، وهذه
طبيعة الأشياء .

ولكنهم يعارضون هذا المنطق « السليم » كما يسميه أنصاره ،
ويستوحون إيمانهم وعقيدتهم . فتجاوز نظرتهم النافذة المشهود ،
فيرون أن وراء هذه الأسباب التي استولت عليها الحكومات
واستحوذ عليها المجتمع سبباً آخر ، وهو الإرادة الإلهية التي خلقت
هذه الأسباب ، وهي التي تسيروها من وراء الستار .

فمن أيدته هذه الإرادة القاهرة ، لم تؤثر فيه هذه الأسباب
وأربابها ، ولم يحتج إلى أصحابها ، وسخر الله له من أمره رشداً
ومرفقاً ، واتاه من لدنه رحمة ونعمة ، فلا حاجة إلى الخضوع إلى
الأسباب الظاهرة ، والاستكانة إلى أصحابه الضعفاء الفقراء ، ولا بد

من الثبات على العقيدة .

وهنا ينتصر الايمان على التفكير المادي ، ويغلب المنطق الايماني
وذلك هو موضع الاعتبار في القصة ، ومفتاحها الحقيقي :

(انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى .. وربطنا على قلوبهم اذ
قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض ان ندعو من دونه الها ..
لقد قلنا اذا شططاً .. هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة .. لولا
ياتون عليهم بسلطان بين .. فمن اظلم ممن افترى على الله كذباً) .

ولكن ما هو السبيل إلى البقاء على العقيدة ، وقد ضاقت
الأرض على أهل الإيمان بما رحبت ، وجعلت الحكومة البلاد عليهم
كفة حابل ، وسدت في وجوههم أبواب الرزق والحياة ..

فاما حياة من غير عقيدة وخلق ، وإما عقيدة من غير حياة
وحرية .

وهناك يسعفهم الايمان ، وينير لهم الطريق ، ويقنعهم بأن في
ارض الله سعة ، وفي نصرة الله ثقة ، وأنهم ليسوا مضطرين -
بعدما نخلوا عن اللذات والمطامع - إلى البقاء في هذه القرية الظالم
أهلها .. وجرى على لسانهم :

(واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر
لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا) .

منهج الصواب في حياة الانسحاب

لقد كان لهم أن يهيموا في أرض الله على وجوههم ، ويعضي كل احد منهم لسبيله ، أو ياوي كل فرد منهم إلى مغارة أرض ، أو قمة جبل ، كما فعل المسيحيون في عصر رهبتهم والنحطاطهم . ولكن الله الهمهم ان يخرجوا مجتمعين ، فارين بدينهم وعقيدتهم ، لاجئين إلى الله ، منتظرين منه الفرج القريب ، والنصر المبين .

وهذا هو منهج الصواب ، والطريق الاقوم ، كلما ضاقت على أهل الإيمان الأرض ، وانسدت في وجوههم الأبواب ، وأشرف إيمانهم ودينهم على خطر وضياع .

جائزة الايمان والفتوة والفرار إلى الله

ثم ماذا كان ؟

لقد حققوا فيهم صفة الايمان والفتوة ، وهما الصفتان الأساسيتان
في دستور النصره الالهية ، والتأييد الرباني :

(انهم فتية آمنوا بربهم) ..

فحقق الله لهم جميع مواعيده .. وعد الزيادة في الهداية ،
ووعد التثبيت ..

(وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم) ..

وما أحوج المؤمن المهاجر .. الثائر على مجتمعه وبيئته ، الثائر
على القوة القاهرة والحكم المطلق إلى الهداية والتثبيت ، وإلى أن
يربط الله على قلبه الخفاق ، ونفسه المضطربة ..

وقد انجز الله وعده في هؤلاء الانتية الكرام ، فزادهم هدى ،

وربط على قلوبهم ، وأخرج منها الجبن والخوف ، والحيرة والاضطراب .. وملأها شجاعة وسكينة ، وقوة ويقيناً ، وفرحاً وسروراً ، ورضاً بالله وأفعاله .. وذلك زاد المهاجر في سبيل الله ، وسلاح المجاهد في سبيل الله ، الثائر على عصره ، المتمرد على بيئته .

ثم ماذا كان ؟

لقد خرجوا من البلد ، تاركين المدينة وزخارفها وراءهم .. نابذين أسباب الحياة .. قد غادروا وطنهم العزيز ومساكنهم الكريمة .

فالظاهر أنهم كانوا من بيوت رفيعة ، ومحتد كريم ، فكان جزاء ذلك أن هدامهم الله إلى كهف واسع صحي ..

ولا تستطيع المنظمات الكبيرة أن تبني مثل هذه الكهوف ، والملاجيء الواسعة النظيفة الصحية ..

فكان شأنه أن يستفيد من منافع الشمس ، وهو النور والدفء - ويسلم من مضارها ، وهي الحرارة الزائدة ، ويدخله الهواء النقي فيضفي على أهله الحياة والنشاط :

(وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ، واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه) .

وهكذا انقطعت صلتهم عن المدنية الدنسة المتعفنة وعن أصحابها
الغاشمين الفاسقين ، واتصلت بأسباب الحياة البريئة ، والعالم النقي
الخارجي .. فكانوا يعيشون في عزلة عن العالم ، متمتعين بخيراته
ومنافعه ، وليس ذلك إلا جزاء الايمان الراسخ والجهاد الصادق ،
ومن تيسير الله وحده وهدايته ..

(ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد) .

لقد حاول الثائرون على نواميس الله وشرائعه ، وعلى الطبيعة ،
وبذلوا جهدهم ومواهبهم ، وعلومهم وذكاءهم في الحصول على حياة
رخية ، صافية هنيئة ، وسخروا لأنفسهم القوى الكونية ، وأخضعوا
لهم أسباب الراحة والرخاء ، وهناء البال . فحرموا النتيجة ، وثارت
عليهم الحياة والطبيعة ، واتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، واصبحوا
فريسة اكتشافاتهم ووسائلهم ، وفريسة الأمراض الوبيلة ، والمشاكل
الغريبة ، -والحروب المدمرة ..

(ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا) .

الحياة في كهف الايمان

ويظهر أنهم لم يقضوا حياتهم في هذا الكهف الايماني في بطالة وتعطل . ولم يكونوا هنالك في ظلام وعمى ، ومن غير دستور وهداية ..

والظاهر أنهم أخذوا معهم بعض الصحف والأوراق المكتوبة ، ولعلها صحائف من التوراة والانجيل ، وأثرة من علوم الأنبياء وتعاليمهم ؛ احتفظوا بها عند خروجهم من المدينة ، وليكن ذلك دستور جميع الثائرين على سيئتهم ومجتمعهم المهاجرين اللاجئين .. المضطرين إلى الفرار والعزلة ، إذ كان لا بد من الفرار والعزلة .

ولما نفذ زادهم الذي حملوه ، سلط الله عليهم نوماً هنيئاً ، عميقاً طويلاً ، لم يحتاجوا معه إلى طعام وشراب ..
(فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا) .

تغيير الاوضاع في روما

وهنا تظهر المعجزة الكبرى من معجزات قصة أصحاب الكهف
ففي مدة نومهم ، واعتزلهم في الكهف ، تغيرت الأوضاع في البلد ،
في مملكة روما وتوابعها ..

فانتقضت دولة الوثنية والخلاعة ، وطوي رجالها وأصحابها في
تقلبات الزمان ..

وقامت على أنقاض هذه الدولة الوثنية ، الخليفة ، دولة تؤمن
بالله ، وبالمسيح ، وتنتصر للدين الجديد الذي حاربته الحكومة الماضية
طويلاً ، وطاردت أتباعه ورجاله .. وتجل كل من انتمى إلى هذا
الدين وترحب بكل من يدين بهذه العقيدة ..

وهناك يبعث أصحاب الكهف من رقدتهم الطويلة التي استغرقت
ثلاثة قرون وزيادة ..

(ولبشوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسماً) ..

ويتساءلون بينهم عن مدة هذا النوم ، فيختلفون في التقدير
والتحديد .. ثم يكلون أمره إلى الله .. لأنه ليس من مهمات الدين
والدنيا ..

(قال قائل منهم كم لبثتم ..

(قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ..

(قالوا ربكم اعلم بما لبثتم) ..

وحينئذ يشعرون بالجوع ، فينتدبون أحدهم ليأتي لهم بطعام
زبي ..

ويرسلونه مع النقود الفضية التي حملوها من مدينتهم ..

(فابعثوا أحدهم بورقكم هذه الى المدينة فليُنظر ايها اذكى طعاما
فليأتكم برزق منه) ..

ويوصونه بالاحتراس من فشو السر وبالتلطف ، لأنهم لا
يزالون يعتقدون أن الدولة للأعداء ، وأن شرطة الحكومة ، ورجال
المخابرات بالمرصاد ..

(وليتألف ولا يشعرن بكم أحدا ، انهم ان يظهروا عليكم
يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم وان تغلبوا اذا ابدا) ..

ولقد تسامع أهل البلد بقصة اضطهاد فتية مؤمنين في دولة
الوثنيين الفجار ..

وسمعوا ما جرى لهم ، وكيف غادروا وطنهم واختفوا عن
الأنظار ، وانقطع أثرهم ..

وقد قامت الدولة المسيحية الفتاة ، تحيي آثار النصرانية
المضطهدة وتجدد معالمها ، وتحيي ذكرى أبطالها وشهداءها ، وتفكر
في تخليد ذكرهم وبناء تذكاراتهم ، وفي مقدمة هؤلاء الأبطال « أصحاب
الكهف والرقيم » .

طرداء الامل ابطال اليوم

وكانت « قصة أصحاب الكهف » حديث البلد .

إذ خرج رائدهم متستراً ، متلطفاً ، خائفاً يترقب ، يبحث
عن طعام لذيذ ، ويرجع به سريعاً إلى أصحابه ، ويقنع من
الغنيمة بالاياب ..

فإذا هو بغية البلد ..

وإذا هو وأصحابه الذين تتغنى البلاد - حكومة وشعباً -
بمجدهم ، وجهادهم ، وبطولتهم .

يعثر عليه - عن طريق العملة القديمة التي كان يحملها ..

أو اللهجة التي كان يتكلم بها ..

أو الزي الذي كان يلبسه ..

فالقُرآن لا يعنى بهذه التفاصيل التي هي موضوع الرواية ، إلا الهداية - ويشيع الخبر في البلد ، وأنحاء المملكة ، ويصبح الشغل الشاغل للناس ..

ويقبل الناس زرافات ووحداً إلى هذا الكهف الذي اواهم ، ويسعدون بزيارتهم ..

ويمسك القرآن - على عادته - عن ذكر تفاصيل احتفاء الناس بهم ، وإجلالهم وتقديرهم لهم ..
لكنه يقول في قوة وتأکید :

(وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها) ..

فقد كان الانقلاب الذي حدث في الحكومة والشعب ، وعشور الناس عليهم بعد هذه الغيبة الطويلة إنجازاً لوعده في رفع منارهم ، وتخليد آثارهم ، وقهر عدوهم ، ودليل على أن الله يقلب الليل والنهار ..

(وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور) ..

وهل كان يرجى أن تزول هذه الدولة القاهرة ، وتنهض
المسيحية المقهورة ، ويخرج أصحاب الكهف بعد هذه المدة الطويلة
من كهف يشبه المقبرة الواسعة ، فتحيط بهم هالة التقديس
والاكبار ، وتفتح لهم الدولة ذراعيها ، ويبسط لهم البلد أحضانه ،
ويوطىء لهم أكنافه ؟!

أليس في ذلك عبرة لسادة قريش وعظماء مكة ، وتسلية
للمسلمين المستضعفين ؟

ومكثوا ما شاء الله أن يمكثوا ..

ثم وافاهم الأجل المحتوم ..

فاصبحوا في محبيهم ، والمعجبين بهم موضوع خلاف ونزاع ،
وذهب الناس فيهم مذاهب .. وذلك في أسلوب تخليد ذكرهم وبناء
تذكارهم ..

(اذ يتنازعون بينهم امرم فقالوا : ابنوا عليهم بنيانا
رهبهم اعلم بهم .. قال الدين غلبوا على امرم لنتخذنن عليهم
مسجدا) ..

لم يقتصر الأمر على الاحتفاء بشأنهم في عصرهم ، والحرص على
تخليد ذكرهم ، بل اصبح هؤلاء من رجال التاريخ والديانة ، الذين

ظل الناس يختلفون فيهم ويتباحثون ، وتتكون مذاهب وطوائف ،
لكل أنصار .

(سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، وبقولون خمسة سادسهم كلبهم
رجماً بالغيب ، وبقولون سبعة وثمانهم كلبهم . قل : ربي أعلم بعدتهم
ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم
منهم أحدا) .

انتصار الايمان على المادية

وهكذا تنتهي هذه القصة الخالدة الأولى من قصص سورة الكهف الأربع ، قصة الصراع بين الايمان والمادية ، أو قصة الصراع بين الاعتماد على الاسباب ، وبين الاعتماد على خالق الاسباب ، تنتهي بانتصار الايمان على المادية ، وصدق الاعتماد على خالق الاسباب .

لقد آثر الفتية المؤمنون الايمان على المادة ..

واثروا الآجل على أن يعيشوا أغنياء أو أمراء وهم كافرون .
واثروا أن يعيشوا بعيداً عن الوطن والأقارب والاحباب ،
لاحظ لهم في متعة الحياة ، ولذة العيش ، وعز الحكومة ، على أن
يشركوا بالله ، ويرضوا شهواتهم ، ويتعاونوا على الاثم والعدوان ،
لقد فروا من مقتضى النفس إلى مقتضى الروح ، ومن مقتضى العقل
إلى مقتضى الايمان ، فتحقق انهم كانوا أعمق عقلاً وأبعد نظراً ،

وأن العاقبة للمتقين ..

لقد فروا من الاسباب إلى خالق الاسباب ، فلم ينتقلوا من هذا العالم ، حتى خضعت لهم الاسباب ، وخضعت لهم الاسباب ، وخضعت لهم حكومة فروا من خوفها وعقايها بالامس .

وقصة « أصحاب الكهف والرقيم » هي قصة الايمان والفتوة والثبات ، والتضحية والجهاد ، التي تتكرر في تاريخ الانسانية ، وفي تاريخ الحق والعقيدة ، وبرهان على أن الاسباب خاضعة للإرادة الالهية صديقة للإيمان والعمل الصالح ..

فسبيل المؤمن أن يستميل هذه الارادة بالايمان والعمل الصالح ويستحق نصر الله وتأيده ..

قلت :

نظرة جديدة .. جميلة ..

ومحاولة لفهم جديد لاشعاعات القرآن العظيم ..

تضيف ثروة فكرية رفيعة .. ترفع مستوى الناس الى فهم
الحكم القرآنية فهما شاملا !!

كلمة ..

أخيرة ؟!

تادباً بقوله تعالى :

« فلا تَمَارَ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءَ ظَاهِرًا .. »

« وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا .. !! »

أقول : كان في تفكيري .. أن أفجّر عجائب أهل الكهف
تفجيراً ..

وأن أناقش خلافاً الروايات التي تحدثت عنها ..

فأدحض بعضها .. وأؤيد بعضها .. وأسخر من بعضها ..
وأضحك من تهافت بعضها ضحكاً طويلاً ..

ثم تذكرت ما أمَرَ اللهُ .. رسوله .. صلى الله عليه
وسلم .. من الاقتصار في شأنهم على ما أوحى إليه من آيات ربه ..
والأَّ يستفت فيهم منهم أحداً ..

فأمسكت فوراً .. عما اعتزمت أن أثيره بشأنهم .. رغم

طرافته وإثارته لشوق القارىء ..

ذلك أن الجسدَ شهوة .. والامساك عن الشهوة فضيلة
مستحبة !!

وكانَّ الله تعالى حين قال لرسوله .. صلى الله عليه
وسلم ..

« فلا تمار فيهم إلا وراء ظاهرا ، ..

يريد أن يقولَ له ..

نحن قصصنا عليك حديثهم بالحق .. وحدثناك بما ينفع الناس
من شأنهم .. وأسقطنا كثيراً من الاوهام التي نسجوها حول
قصتهم ..

فلا تلتفت إلى أساطيرهم بعد أن جاءك الحق من أمرهم ..

وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى .. مستفتحاً بقصتهم :

« نحن نقصُّ عليكَ نبأهم بالحق ..

« إنهم فتية آمنوا بربهم .. »

الخ ..

فلما فرغ من سرد قصتهم .. اختتم حديثهم مخاطباً رسوله ..

صلى الله عليه وسلم .. ليكون خطاباً للأمة كلها من بعده ..

« فلا تَمَارَ فيهم إلا مِراء ظاهراً ، .. »

أي .. ما قصصناه عليك هو الحقّ .. وما وراء ذلك خيال
فيه الصدق وفيه الكذب ..

فلا تضيع وقتك في تتبعه .. لان وقتك اثن وأعلى من
إضاعته في توافه الامور ..

« وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي ربي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشيداً ، .. »

أن يوجهني إلى ما هو أنفع لي وللناس من إضاعة الوقت في
جدليات لا تؤخر ولا تقدم ..

تذكرت هذا وأنا أعد العدة للهجوم الساحق الماحق على اقوال
الروايات المضطربة التي ورثت في قصة اهل الكهف ..
فتراجعت فوراً ..

تأدباً بالتوجيه الرباني ..

فلما أن فعلت .. عاد إليّ عقلي .. وقلت : حقاً ..

« وكان الانسان اكثر شيء جدلاً ، !! »

يقول الله لنا :

« نحن نقصّ عليك نبأهم بالحق » ..

ثم يقصّ علينا قصّتهم في إعجاز عجيب ..

فلا يقنع الانسان بحديث ربه ..

وهو المحيط علماً بهم .. ويذهب إلى نسج الاساطير من
خياله !!

وإذا كان لاهل الكتاب عذرهم أن يطلقوا خيالهم في قصّتهم ..
لأنهم تناقلوها بالرواية عن بعضهم بعضاً ..

فلا عذر للمسلمين .. ان يتناقلوا عنهم اساطيرهم .. بعد
أن حدثهم ربهم عن قصّتهم بالحق .. ومَن أصدق من الله
حديثاً ؟! ..

ولكن الانسان هو الانسان ..

يطلق خياله دائماً في كل شيء ..

فجاءتنا روايات كثيرة عن أهل الكهف ..

ونقلها كثير من الرواة المسلمين .. عن رواة اهل الكتاب ..
رغم ما فيها من خيالات !!

وإن من أعجب العجب في إعجاز القرآن أن يقول الله تعالى
بعد أن قصَّ قصتهم ..

« مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ » .. فلا تُمارِ فيهم إلا مِرَاءَ ظَاهِرِهِ ..
ولا تستفتِ فيها منهم أحداً ، !!

ولكن العجب يزول .. إذا علمنا أن هذا توجيه لنا جميعاً ..
وتصحيح لموقفنا من قصة أصحاب الكهف ..

كأنه يراد أن يقال :

ما يعلمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ..

أما أكثر الناس فضحايًا أو هامًا وإساطير ..

وقد جاءكم الحقّ من ربكم في شأنهم ..

فاقتصروا عليه .. ولا تلتفتوا إلى الخيال !!

تم

فهرس

صفحة

٧	مقدمة . . .
٩	قال تعالى .
١٥	كانوا من اياتنا عَجَباً ؟!
٣١	إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ
٤١	فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ
٤٩	ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ
٥٥	نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَاهِهِم بِالْحَقِّ
٦٣	وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ

٧٩	قصة اهل الكهف
٩١	العثور على موقع الكهف
١٠١	فاوؤا إلى الكهف
١١١	وترى الشمس إذا طلعت
١٢٥	وتحسبهم أيقاظاً وهم رقودٌ ؟!
	لو اطلعت عليهم .. لو ليت منهم فراراً
١٣٧	ولملت منهم رعباً ؟!
١٤٩	وكذلك بعثناهم
١٥٩	إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم
١٨٩	وكذلك اعثرنا عليهم مسجداً
	سيقولون ثلاثة .. ويقولون خمسة ..
٢٠١	ويقولون سبعة
٢١١	ولا تقولنَّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذلك غداً
٢١٧	ولبثوا في كهفهم ثلاثَ مائةٍ سنينَ
٢٢٣	قل الله اعلم

صفحة

٢٢٩	من باب الاشارة في الايات . . .
٢٤٥	نظرة جديدة في قصة اصحاب الكهف .
٢٩٩	كلمة أخيرة
٣٠٧	فهرس

ماذا في هذا الكتاب ؟

فيه قصة النيام السبعة !!

فيه عجائب المعجزة الالهية .. معجزة أهل الكهف .

« أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا
مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۚ »

فيه معجزة « وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ
عَنْ كَهْفِهِمْ .. » !!

ومعجزة « وَنَحْسِبُهُمْ أَيْقَظًا وَهُمْ رُقُودٌ .. » !!
ومعجزة « لَوْ اِطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا .. » !!

ومعجزة « وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ .. » !!

ومعجزة « وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ .. » !!